







مكتبة نوبل

Author : josé Echegaray
Title : O LOCURA O SANTIDAD
Translator: Rifat Atfeh
Al- Mada P. C.
First Edition 2001
Copyright © Al-Mada

اسم المؤلف : خوسة إتشغاراي عنوان الكتاب . جنون أو قداسة ترجمه عطفه المناشمة . رفعت عطفه المناشمة الأولى : سنة ٢٠٠١

الحقوق محفوظة

سوریا - دمشق صندوق سرید : ۸۲۷۲ أو ۷۳٦٦ تلفون ۲۳۲۲۲۷۵ - ۲۳۲۲۲۷۹ - فاکس ۲۳۲۲۲۸۹

دار ﴿ لَا لَهُ النَّفَافَةُ وَالنَّشِرِ

Al Mada Publishing Company F.K.A. Cyprus

Damascus - Syria , P.O Box .: 8272 or 7366 .

Tel: 2322275 - 2322276, Fax: 2322289

E - mail : al - madahouse @ net.sy : البريد الالكتروني

All rights reserved for the author. No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing, of the author.

ع ۱۹۱۰ المرحل الروال

خوسُ الشِفاراهِ **بنون أو قداست**

ترجمة ر**فعت عطفه**



مقدمة

وُلِدَ خوسيه إتشغاراي في مدريد، شارع نينيو يوم ١٩ نيسان ١٨٣٨ من أب سرقسطي وأمّ باسكية . علماً بأنّ كنية الأب باسكية أيضاً . كان أبوه طبيباً ، لكنّه لم يكن يميل للمهنة وكان زبائنه قليلين فكرّس نفسه للتعليم بهدف زيادة دخله بما يزيد قليلاً عن دخل لم يصبح يوماً كبيراً ، وهذا ما جعل الأسرة تعيش حياة شظف وفاقة أحياناً كثيرة .

كان خوسية طالباً فطناً ومجتهداً، أنهى دراسة أصعب اختصاص في إسبانيا آنذاك: هندسة الطرق وهو في العشرين من عمره بدرجة ممتازة، دون أن يرسب في مادّة واحدة على امتداد سنوات الدراسة.

تصادفت طفولته مع أوّل وأطول الحروب الأهلية الكارلوسية وانهيار الإمبراطورية الاستعمارية الإسبانية في أمريكا، بينما عرف شبابه التمردات العسكرية وعدم الاستقرار السياسي والعجز الاقتصادي للبلد، وبدأت إسبانيا تتلقّى أولى اللطمات في كوبا وجزر الفيليبين .

كان جدِّياً منذ بدايات حياته وكان أقصى ما يتطلِّع إليه هو ألا

يتلقى أيَّة عقوبة مدرسية وقد وقَّى بذلك باستثناء حالة واحدة حين هرب من المدرسة الداخلية ذات ليلة ليذهب ويشاهد العرضَ الأول لإحدى مسرحيات أدلاردو لوبِّثُ دِ أيالاً .

استطاع وهو في الثانية والعشرين من عمره أن يحصل على منصب أمين سـرٌ مـدرسـة الطرق ويعطي دروسـاً في علم المياه والحساب التفاضلي والتكاملي والميكانيك التطبيقي.

اعتُبرَ خوسهِ إتشغاراي لسنوات طويلة واحداً من أبرز علماء الرياضيات في إسبانيا وكتب الكثير من المؤلفات العلمية في الهندسة والفيزياء: نظريات الفيزياء الحديثة وديناميكا الحرارة ونظريات الضوء الحديثة.

تزوّج في الخامسة والعشرين من عمره ويما أنّ راتبه لم يكن يكفي لتأمين حياة مريحة ولائقة فقد أسّس أكاديمية إعدادية سرعان ما جمعت طلاباً فساهمت في إنعاشه اقتصاديّاً. لكنّ الجمع بين العمل في مدرسة الطرق وأكاديميّته الخاصّة أثارَ بعض التساؤلات عن أخلاقيّة هذا الجمع، وقد قبل مدير الأشغال العامّة أن يجمع بين التدريس وبين العمل في أكاديميته لكنّه لم يستطيع أن يتساهل في الجمع بين أمانة سر المدرسة والأكاديمية، فما كان من إتشغاراي إلا أن قدّم استقالته من المدرسة، لكنّ مدير المدرسة اسرعان ما هُرع إلى مدير الأشغال العامّة ليقول له إنّه لا يستطيع أن يستغيي عن إتشغاراي لأنه روح المدرسة ومحرّكها، وهنا يُسارع هذا الأخير ليضحيّ بمصلحته المادّية فأغلق الأكاديمية لصالح التدريس في مدرسة الطرق. كما عرضت عليه أعمال كثيرة أخرى

تردّ عليه المال الكثير رفضها جميعاً لصالح المدرسة.

في هذه الأثناء دفعته طموحاته العلمية إلى مجال آخر: إلى دراسة الاقتصاد السياسي، وهكذا غاص عميقاً في هذا الاختصاص فأسس مع زميل له أوّل نشرة من نوعها في إسباني إكونوميستا، وراح يتردّد على نادي مدريد (أتنتو) الذي كان نقطة لقاء المتنورين من أدباء وسياسيين ومثقفين وراح يلقي فيه المحاضرات التي سرعان ما لفتت الانتباه إلى خطابيته الآسرة. وله الفخر بأنّه مؤسس بنك إسبانيا في عام ١٨٧٤، الذي أحدثه ليخلص، بحسب قوله، الوطن من الربا الأجنبي، لأنّه لا يمكن أن يكون هناك استقلال سياسي حقيقيّ دون استقلال اقتصاديّ حقيقيّ.

عيَّنَهُ رويث ثوريليا وكان سياسياً يسارياً مديراً للأشغال العامّة إثر سـقـوط إيسـابل الثـانيـة وذلك بسـبب نجـاحـه في المجـال الاقتـصادي. وقد قبل المنصب كفنّي لا كسياسي، لكنّ قـدرته الخطابية، التي أشرنا إليها توّاً، سرعان ما ارتقت به إلى مصاف الخطباء السياسيين القـلائل آنذاك. وكان من أهمّ ما طرحه هو الحرية الدينية. وهكذا شغل مناصب سياسية كثيرة نجح فيها جميعاً: مدير الأشغال العامّة، وزير إنماء مرتين، وزير مالية ثلاث مرات.

ومع نشوب الحرب الأهلية بين الكارلوسيين في الشمال والفدراليين في بقية المقاطعات هرب إتشغاراي إلى فرنسا حيث أتاحت له فرصة التحرر من العمل البيروقراطي التوجُّهَ إلى الكتابة، فألف عدداً من المسرحيات ما لبث أن مزّقها أو أحرقها . لكنّه قدّم بعد عودته إلى إسبانيا واحدة منها - دفتر الإيصالات باسم مستعار هو خورّخه أياسكا إلى إحدى الفرق المسرحية، وبما أنّه استلم وزارة المالية حين عرف مدير الفرقة أنّ إتشغاراي هو المؤلف الحقيقي للعمل فقد أراد هذا المدير أن يستفيد من الحالة فدّشن هذه المسرحية في الثامن عشر من شباط من عام ١٨٧٤، وهكذا تتالت أعماله على الخشبة.

وكانت لجنة الأكاديمية السويدية لجائزة نوبل في تقديمها لكاتبنا حين منحتها له في عام ١٩٠٤ مناصفة مع فيريكو ميسترال قد قالت: "بعد سطوع المسرح اليوناني كان أن تطوّر بين الإنكليز والإسبان فن مسرحي قومي. ولكي نفهم المسرح الإسباني الحديث لا بدّ لنا أن نفهم الظروف التي هيّات له في الأزمنة الماضية. فالمسرح الإسباني يقدّم لنا منذ زمن طويل تناقضات قويّة: من فالمسرح الإسباني يقدّم لنا منذ زمن طويل تناقضات قويّة: من والعاديّة أحياناً؛ هناك من جهة الألوان البراقة ومن أخرى الميل إلى التناقضات البلاغية. يجتمع التفخيم الهائل مع الحبكة المتشابكة. فضريات تأثير لامعة، حماس شعري غنائي عظيم. إنّ عدم ضريات تأثير لامعة، حماس شعري غنائي عظيم. إنّ عدم الإنسجام حاد والصراعات تكاد تكون دائماً ذات حلول مأساوية. الجدل صارم. ومع ذلك فالحياة الداخلية غنية جدّاً ووصايا الشرف الصارمة المطبقة دون رحمة لا تنفي نضارة دفق الخيال الجامح والفوري. لقد استطاع (هذا المسرح) أن يصهر المصطنع بالأصالة الفذة.

وكان الكاتب الذي أقرّت الأكاديمية السويدية منحه نصف جائزة نوبل للسنة الجارية وريثاً واستمراراً لتلك التقاليد الجيدة والمميزة."

الحقيقة وكما يقول غونثالو سوبخانو إنّ أوّل ما يجب الاتفاق عليه هو أنّ مسرح إتشغاراي يتحرّك بين مقولتين: الدراما اللازمنية والدراما المعاصرة. والدراما اللازمنية هي التي أشار إليها كلارين حين تكلّم عن كاتبنا فقال: " إتشفاراي الدراما الرومانسية، الشعرية، الأسطورية، وتكاد تكون دائماً شعراً، مليئة بالرؤى وبالقشعريرة والرعشات، إتشغاراي الذي لا يكاد يُعجبُ الجمه ورّ الذكي أبداً ...؛ إتشِغاراي الذي لا يعجب ربيليا أيضاً، إتشغاراي: بحر بلا ضفاف، إتشغاراي قلب الموت . إتشغاراي هذا، هو الذي يستمرّ في ذاكرة الغالبية كمؤلّف لمسوخ ميلودرامية، مليئة بالحشو. لكن وعلى الرغم من أنّ إتشغاراي لم يتخُلّ كلّياً عن سعيه وراء التأثيرية ولا حتى حين كتب مسرحيات مهمّة جدّاً: جنون أو قداسة ولا حتى حين كتب نوعاً من مسرح المدينة المتعلق بالطبقات الاجتماعية العليا: القوّاد الكبير ولاحتى حين حاول الاقتراب من الطبيعية: ابن دُن خوان أو الرمزية: الشكّ. في جميع هذه الأنواع وتحت الافتعالات العصيّة على التصحيح يوجد شيء عبثاً سنبحثُ في مسرحيات مثل في قلب الموت أو هورولدو النورماندي، عن إشارات إلى عالم اجتماعيّ معاش من المشاهدين، أجواء معاصرة، إشكالية أخلاقية حالية أو يمكن جعلها حالية، محاولات نقد بعض المظالم وتدريبات على تبنى تقنيات جديدة."

ومن الجدير بالذكر أنّ مسرح إتشغاراي لا يعرف المصالحة عادة، فهو مسرح مواجهة بين قطبين: الحقيقة من جهة والرأي من جهة أخرى، كما هو الحال في المسرحية التي بين أيدينا والقوّاد الكبير، واللطخة التي تنظف؛ وبين الحبّ والشرف، الحرية والاستبداد، كما في الموت على الشفاه. والملفت للنظر أنّ الحقيقة وهي عادة ما تكون شخصية لا تفسيّر في رأي الآخر إلا على أساس الجنون وعملياً المنتصر في النهاية هو الرأي، العادات والمنهزم هو الحقيقة، لأنها جنون بالنسبة إليه. فمثلاً لا شيء ينفع دُن لورنثو العالم والعارف والحكيمُ حين يكتشف الحقيقة، ولا يكتشفها معه الآخرون. كلَّ ما يصيبه منهم هو الشفقة عليه. فلا حبّ زوجته ولا حبّ ابنته وتضحيتها في النهاية ومحاولتها الهروب أو الذهاب معه يفيده في شيء؛ كلّ ما يناله منها هو أنّها تعده أن تذهب لإنقاذه. وبذلك تخسر سعادتها وتخسر حبّها وتخسر الحقيقة أمام رأي الآخر.

رفعت عطفه

جنون أو قداسة مسرحية في ثلاثة فصول

نثر

⁽١) مثلت للمرة الأولى على خشبة مسرح الإسبنيول ليلة ٢٢ كانون الثاني ،١٨٧٧

توزيع الأدوار

المثلون	الشخصيات
السيد بيكو	دُنْ لورِبِنشو دِ أَبنِّدانيـو (١)
الآنسة مارين	أنْخِـلاً
الآنسة كونتُرراسُ	انسنّ
الآنسة فِموكّيو	دُوَقَة أَلُمونْتِ
السيد كالبو	ٳۮٙۅٲۯ۫ۮۅ؞؞؞؞؞ۘ؞؞؞؞؞؞
	خــواثـا
السيد أَلْترا	دُنَّ تومــاسٌدُنَّ تومــاسٌ
السيد بنابيدس	الدكتور بِرُمودِثُ
السيدُ ريكُلُمِ	براولیو
السيد رومِتُا	بنيتو
السيد كاستُترو	الُخادم

المشهد في مدريد في بيت دُنَّ لورنِّثو.

⁽١) نظراً لمرض السيّد بيكو ، فقد قام السيد ثيَّليو بدور دُنُ لورنِثُو ، في العرض الخامس .

إلى الممثل الكريم دُن أنطونيو بيكو

أقوم بواجب حتمي، أمارس نوعاً من العدالة وأحاول أن أشهد بإعجابي بفطنتك الكبيرة وإلهامك الذي لا ينضب، بإهدائك هذا العمل، الذى اختير لصالحك حيث تبرز أنت.

أنت، الذي ومنذ التدريب على دفتر الإيصالات رحت تكسب لي الإعجاب والنجاح، أنت الذي كنت على الخشبة وبشكل متوال دون كارلوس د كيروس في زوجة المنتقم، مصرفي في تلك الخاتمة لتلك الليلة، فرناندو الدراما؛ في مقبض السيف، بابلو في كيف يبدأ وكيف ينتهى ولورنثو في جنون أو قداسة.

فأنت تستحق جيّداً (وهو تعويض متواضع تماماً، أعرف ذلك، مقابل كلّ حميّاك الرفيعة، كلّ صراخك، الممزّق للقلب، كلّ تلك الروائع التعبيرية) إليك هذا عربونَ امتناني وإعجابي وصداقتي.

خوسه إتشغاراي

الفصك الأوك

يمثلُ المشهدُ مكتبَ دُنّ لورنشو، المثمن الأضلاع. على يسار المشاهد وفي البعد الأوّل مدخنة مشتعلة، وفوقها مرآة كبيرة ذات إطار أسود، في البعد الثاني يوجد باب. إلى اليمين يوجدُ باب ثان في البعد الأوّل ونافذة في البعد الثاني. الباب الرئيسي في العمق، في الحرفين أو الطرفين المنحرفين للمثمن رفوف كتب كبيرة. إلى اليسار طاولة مكتب، ومكتب طالب وكرسي بذراعين. إلى اليسمين يوجد أريكة، على بعض الكراسي، على الطاولة، وأطراف الرفوف والجدران كتب وأشياء فنية مختلطة، لكن دون أن تبدو بمجموعها مزدحمة. التزيين أنيق وثري لكنه صارم في ذوقه: الستائر والأثاث داكنة اللون. يوم شتوي، والنور شحيح جداً.

المشهد الأول

دُن لورنَّثو، يجلس إلى الطاولة ويقرأ باهتمام.

لورنثو-. "الرحمة - أجاب دُنّ كيخوته - يا حفيدتي هي التي استخدمها الله معي في هذه اللحظة، التي لا تقف في وجهها أخطائي، كما قلت. عندي عقل، صار حرّاً وصافياً، وقد فَرغَ من دياجير الجهل، التي حطّت بها عليه الخرافة المرّة والمتواصلة لكتب الفروسية الكريهة. أنا أعرف حماقاتها وحيلها ولا يُتقل عليّ غير أنّ هذه الصحوة جاءت متأخرة جدّاً ولا تسمح لي بالقيام بتعويض ما، بقراءة أخرى تكون نوراً للروح. أشعر بنفسي، يا حفيدتي، على وشك الموت، وكنتُ أريد فعل ذلك بشكل أفهم به الآخرين بأنّ حياتي لم تكن سيئة إلى حدّ أن أترك خلفي سمعة مجنون، وبما أنّني كنتُ كذلك فإنّني لا أريد أن أثبت هذه الحقيقة بموتي" (يقطع القراءة ويمكثُ متفكّراً برهة طويلة.) من الجنون القتال بلا هوادة ولا راحة من أجل العدالة في معركة الحياة المضطرية، كما كان يقاتل في عالم خيالاته البطل الخالد لثريانتِس الخالد. من الجنون

حب الجمال المقدّس حبّاً مطلقاً دون إدراكه كما أحبّ هو دولّشينئا رغباته الجامحة! من الجنون المضيّ بالروح خلف المثال في دروب الوقائع الإنسانية الفظّة والتافهة، التي تشبه الجري خلف نجم في السماء عبر أرض وعرة مليئة بالأشواك. جنون كما يؤكّد الجهابذة، لكنّه غير عدواني وغير مُعّد، كما يبدو، ولا حاجة بنا لكيخوته آخر كي نَقُطع الطريق عليه. (وقفة، ينهض بعدها ويمكث متفكّراً من جديد.)

المشهد الثاني

دُن لورنِّتُو، انخِلا ودُنَّ توماس. يتوقَّف الأخيران عند الباب الأيمن، في البعد الأوَّل ومن هناك يراقبان دُن لورنَّثو، شبه مختفيين بين الستائر.

أنْخِلا-. ألا تراه؟ كما هو دائماً: يقرأ ويتفكّر.

توماس-. يا أنخيلا، زوجك عالم بكل معنى الكلمة، لكن علينا ألا نتمادى بالمعرفة. فالوتر كلما شددناه أكثر ازداد صوته حدة ، لكنّه أيضاً ينقطع بسهولة أكبر، وحين ينقطع يعقب النغمة الإلهية صمتُ أبديّ. فبينما يتخبّط الدماغ في ارتعاشات رفيعة يترصد الجنون: لا تنسيّ ذلك. (وقفة) لورنثو-. كتاب غريب، كتاب رفيع! كم من المشاكل ضمّنك ثربانيس، ربّما دون أن يدري! مجنون بطلك! بلى مجنون! مجنون! مجنون.

(وقفة) الذي لم يسمع غير صوت الواجب حين بدأ رحلته في الحياة، مسيطراً في كلِّ لحظة على عواطفه ومهدِّئاً رغباته، دون ما أيّ شمال (بوصلة) غير العدالة ولا قاعدة غير الحقيقة، لقد وضع العدالة، الحقيقةُ نصب عينيه في كلّ أعهاله ويطموح كافر أراد أن يمتلك كهال ربّ السماوات. .. هذا ... يا له من كائن غريب في كلّ المجتمع البشري، أي دُّنُّ كيخوتِه هذا بين كلِّ هؤلاء السانتشوات... ثم عليه أن يدين المصلحة في هذا والغسرور في ذاك والسعادةً في الآخر، الشهواتِ الفوضويةِ في هذا، ضعف الجميع، كيف راحت أسرته ذاتها، على طريقة حاملة مضاتيح وحضيداة الضارس الجوّال، كيف راح أصدقاؤه أنفسهم، مثلهم مثل الخوري والحلاّق وسانسُنّ كارَّاسكو، كيف راح العمالقة والصبايا، الدوّقة وأصحاب الخانات، المسلمون والمسيحيون يصيحون بأعلى صوتهم: مجنون، واعتبر نفسه مجنوناً، أو أنّه تظاهر بذلك عند موته كي يتركوه يموت بسلام،

توماس-. (مقتربًا من دُنَّ لورنِّثو وواضعاً بده على كتفه . أنخِلا تقتربُ أيضاً .) لورنَّثوا

لورِنْتُو-. توماس... أنخِلاً ... هل كنتما هناك؟

توماس-. بلى، نسمع قليلاً نجواك الفلسفية. ما هو سبب هذا الترويح العظيم الذي يقوم به صديقي العزيز؟

لورِنْتو- قراءات دُنّ كيخوتِهُ، تصعد لله رأسي وتختلط بفلسفات

حديثة، تتيه، كما يمكن أن يقول صديقي الدكتور، في صوامع الجوهر الرمادي.

توماس-. كما يمكن أن يقول كلّ من يريد أن يقول شيئاً عقلانياً.

أنْخِلا-. يا للرعب هل ستبدؤون واحداً من تلك الجدالات حول

الوضعية والمثالية وكلِّ التيارات الأخرى الموجودة في

القاموس، التي هي هوّات كثيرة أخرى من الحس المشترك؟ توماس-. لا تستنفري، يا أنْخِلا، فعندي شيءٌ أهم عليّ أن أقولُه للورنثو.

لوربنشو- . (إلى دُن توماس) وأنا عندي شيءً أكثر إلحاحاً سأسالك عنه.

أنخِلا-. أعتقد ذلك، شيء أكثر أهمية وإلحاحاً من الترهات والإغواءات التي تملأان بها رأسيكما، ألا وهي ابنتنا.

لورننو-. (بحماس) كيف تجدين اليوم ابنة عمري؟

أنخِلا-. كيف هي إنِسٌ؟ (وقفة).

لورنثو-. هيّا ١٠٠٠ أجيبي الا تبقي علينا في هذه اللهفة (وقفة جديدة. يُحرِّكُ دُنَّ توماس رأسنة بانزعاج)

أنخلا-. يا دُنْ توماس، بالله عليك! هل هي في خطر؟

لورنشو-. ماذا تقولين، يا امرأة الا تلفظي هذه الكلمة ا

توماس-. كفى الكفى الم كلّ هذه السرعة النّها في حالة خطيرة، لا أُنكِرُ ذلك.

لورنثو-. ماذا تقول؟ أنخًلا-. ماذا تقول؟

لورِنْتو-. ما مرضها؟ ما اسمه؟

أنْخُلا-. كيف يُعالَج؟ لأنها يجب أن تُشفى بطريقة من الطرق. من الضروري، يا دُنُ توماس أن تُنقذَ ابنتي.

توماس-. إنه واحد من أكثر الأمراض ضرراً بين الأحياء. ما اسمه الشعراء يسمّونه حبّاً ونحن الأطباء نعطيه اسماً آخر. كيف يُعالَج اليوم يعالجه الراهب؛ من المجرب تماماً أنّه بعد شهر من استخدامه لا يبقى في أيّ من الزوجين أي ذكرى عن الألم.

أنخِلا-، أي مـزاح هذا، يا دُنْ تومـاس الم تتـرك قطرة دم في عروقي ا

توماس-. (بجدية) المسائلة أنها إذا تكلَّمنا بجديّة ونظراً لظروف هذه البنت، ومزاجها العصبيّ، وحساسيتها المطلقة وحبّها الرومانسي فإنّ مرضها خطير، وإذا لم نبحث لها عن علاج سريع في هدوء الحياة الزوجية العنبة فإنّه ليؤلمني أن أقول لكما ذلك، يا انخلا ويا صديقي، لكنّ الواجب يفرض عليّ قوله: انسيا إنس الصغيرة.

لورنِّثو-، توماسا

أنخِلا-. هل تعتقد ذلك؟

توماس-. أعتقد أنّ إنس ورثت الخيال الجامح والرائع عن والدها، وأنّ حمّى الحب تجري في كلّ عروقها أمواجاً من نار. إذا لم تزوّجوها من إدواردو وسريعاً؛ وإذ ما اقتنعت بأنّ آمالها لن تتحقّق، فإنّ هذيانات أوهامها وعنف عواطفها سوف يجرحانها جرحاً قاتلاً وإن كنتُ لا أعرفُ كيف.

لورننثو-. ياإلهي! أنخُلا-. يُنيّته!

توماس-. صرتما تعرفان رأيي، رأيي المعروض دون لفٍّ ولا دوران، وهو ما يتطلّبه استعجال الحالة والإخلاص الذي يمليه عليّ الحبّ الذي يربط بيننا وأكنّه لهذه الطفلة البريئة.

أنخِلا-. (إلى دُن لورنشو بنبرة جريشة) سمعت ما قيل: من الضروري أن تتزوّج إنس من إدواردو.

لورنشو-. بوديّ ذلك، يا أنخِلا. فإدواردو طيّب، ذكيّ ويُحبّ ابنتنا حتى الهذيان؛ لكنّ...

أنخِلا-. لكن ماذا؟ لسنا نبلاء وأمَّ إدواردو، دوقة ألِّمونَّت، تعارضُ هذا الارتباط؟ لكن ماذا يهمُّ، إذا كان هو يريد وليست هي من سنتزوِّج؟

لورنثو-. فكّري جيّداً، يا انخلا. نحن نفدّي تمرّد الابن على أمّه د... أنخلا-. فكّر جيّداً، يا لورنِثو؛ نضحي بابنتنا من أجل ترهات هذه المرأة!

لورنثو-، ندبُ الترهات والتعاسة تبدو لي شيئاً سهالاً؛ لكن البحث عن علاج للضرر هو ما يهمُّ...

أنخلا-. ولماذا لا تُكلم الدوقة، يقولون إنها، بمعزل عن اهتماماتها الأرستقراطية، امرأة طيّبة وتحبّ إدواردو حتى الهذيان. تذهب إليها تتوسّلها وترجوها.

لورنشو-. أنا أتوسلها! أنا أرجوها! أنا أتذلُّلُ! بالتأكيد لست من

يذهب ليطلب ابنها، هي من يجب أن تأتي إلى بيتي لتطلبَ يد إنسٌ. فالأعرافُ الاجتماعية، احترام المرأة، مروءتي كلّها تتطلّب ذلك.

انخلا-. (متوجّهة إلى دُن توماس، الذي كان قد اقترب من الطاولة ويتصفّح كتباً) هاهو الفيلسوف، العالمُ، الرجل التامُّ يطفحُ أمامكَ هذياناً وكبرياء.

لورنثو-. يا أنخلا، أنت ظالمة، ليس كبرياء، بل كرامة، نعم كرامة، لأنه ليس من المروءة أن نتسبول لجبين إنس التي تحمل بذاته أفضل تاج، تاج الدوقية، الذي تنكره علينا أسرة أخرى بازدراء، ليس من المروءة، أكرّر عليك، أن نمضي من باب إلى باب، خاصة إذا نُحِتَت على أعتابها تروس، نمد أيدينًا ليتصدقوا علينا باسم، في الوقت الذي تحمل فيه إنس اسمي، الرائع نظافة وشرفاً، مثل أيّ اسم آخر يمكن أن يكون كذلك إلى حدّ كبير،

توماس-. لورنثو على حقّ، وأنتِ أيضاً، يا أنخِلا.

أنخـلا-. حسن، لا تذهب أنت واحفظ كرامتك، كرامة العالم والفيلسوف، دون مساس، أنا، التي لست غير أمِّ مسكينة، ساذهب. أنا لا أخـجل من أن أتسـوَّلَ من باب إلى باب سعادة وحياة ابنتى، وليس تيجاناً ولا تروساً.

لورنثو-، ولا أنا، يا أنخلا: أنت على حقّ. سأسذهب وليقل الناس ما يقولون ولتفكّر الدوقة ما تفكّر. (إلى دُنَ توماس)أليس عليّ أن اذهب حقّاً؟ أنت الذي عندك رأي سديد وسليم

وتحكم على الأشياء بدم بارد، قل لي رأيك بصراحة.

انخلا-. آخ، ما هذا الرجل! ألا تجادل بما إذا كان عليك أن تذهب أو ألا تذهب! هذه الأشياء، أيها السيد الفيلسوف، والسيد الزوج تُحلُّ بالقلب وليس بالعقل. شيء مهم أنّك لم تبدأ بتقليب المجلّدات لتبحث فيها عن حلّ للمشكلة. يذهلني أنّك لا تبحث فيها عن حلّ للمشكلة. يذهلني الكلاسيكيين اليونان أو في متاهة كتب رياضياتك غير المفهومة مؤلفً يعالج الحالة الغريبة لمستقبل زواج الآنسة دونيا إنس بالتحديد من دُن إدواردو د ألميّدا، دوق ألمونت؛ وتحكي ما إذا كان ألف زائد باء عند أحد علمائك المفضلين يبرهن لك على عدم مناسبة الزواج، وأنت بسبب ألف زائد باء ستترك فلذة كبدى المسكينة تموت.

لورنِثو-. لا تسخري منّي، يا أنخِلا. أنتِ تعرفين أنّني أعبدُ إنسِنَ.

المشهد الثالث

دُن لورنشو، أنخللا، دُن توماس وإنسِّ. تدخل هذه الأخيرة من اليمين، من البعد الأوَّل، حين يلفظ دُن لورنثو كلماته الأخيرة وتتوقّف حين تسمع اسمها.

لورنشو-. من أجل حياتها المن أجل سعادتها الا؛ فمن أجل أن أجل من أجل من دموعها أقدِّم دموع عينيّ كلّها، من أجل

ساعة سعادة لابنتي إنس، أقايض راضياً في ساعات من العذاب كلّ ما تبقّى لي من حياة. (تمدّ إنس ذراعيها نحو والدها بحنان وامتنان دون أن يروها وترسل إليه قبلة شعوفة). كفى. دعينا من الكلام عن الموضوع. سأذهب اليوم بالذات لرؤية الدوقة. سأتوسل وأتضرع وأتذلل إليها إذا ما تطلب الأمر وستذعن. ألن تذعن؟ (حركة سرور عند إنس، تقترب أنْخِلا وتأخذ يد زوجها بفيض من العواطف،) ليس عندي ألقاب نبالة، لكن عندي ما إذا لم أستطع أن أجعله شهيراً بالعلم والدراسة...

أنخلا-. نعم إنه شهير، يا عزيزي لورنثو.

لورنثو-. شهير لا، لكنّه محترم. ثمّ إنّ عندي ملايين كثيرة، ورثتها عن أهلي وسأتنازل عنها لإدواردو والدوقة كي يُزينان بها تيجانهما الرفيعة، التي أتلفها الزمن. لذلك ها أنت تعرفين، سنتزوّج إنِسٌ وستصبح سعيدة وستكون سعادتها سعادتنا.

أنخلا-. وسعادتك، سعادتنا جميعاً، نحن الذين نعيش ناظرين إلى أنفسنا فيك، فيك، يا لورنثو، الذي حين لا تُقسيك العلوم، تكون أكثر الرجال حبًا وطيباً وفضلاً!

إنسِن -. (وهي تخور وتستند إلى الباب كيلا تسقط) آي، يا إلهي! يا إلهي! إلهي!

أنخلا-، (وهي تُهرع كي تسندها) إنسِ، بُنيَّتي المورنثو-، (الشيء نفسه) إنسِ، إنسِّ ما بك؟ توماس-، (مُقترباً منها) كفى، يا صغيرة، ما هذا الدلال؟

إنس-. (مقترية من الأريكة اليمنى وجالسة عليها، البقيّة يحيطون بها بحرص) لا شيء، ليس شيئاً...؛ المسألة أنني أريد أن أبكي...، وأنا في غاية السعادة، لا أستطيع... المسألة أنني أريد أن أضحك والدموع تنهال على عينيّ... المسألة أنني أحبُّك كثيراً... كثيراً، يا أبت! (تعانقه وتدلّله،) ما أطيبك! ما أروع خلق الله لك! أنا سعيدة ... سعيدة جدّاً. (تنفجر بالبكاء بين ذراعي أمّها.)

أنخِلا-. هكذا، ابكِ يا بُنَيَّتِي، رَوِّحي عن نفسك، أرأيتِ كم هو طيبٌ والدك؟ أحبِّيه كثيراً.

إنسِن - من كلِّ روحي ... ومتى سيدهب؟ اليوم بالذات، أليس كذلك؟

توماس-. (ساخراً من وعودها الحنونة.) آه، يا أنانية! إذن نحب أبانا كثيراً حين يعمل ما يسرّنا؟ وماذا لو لم يذهب إلى بيت الدوقة، هل سنحبّه أيضاً كثيراً كما نحبّه الآن؟

إنس -. تماماً.

توماس-، (بنبرة ارتياب) إذا تماماً؟

إنسِن - (ببعض الخبث،) حقيقة ، لكنني سأكون من الحزن بحيث لن يخطر لى أن أقوله له.

توماس-، حسن،

إنسِن -. قبل ذلك كان هناك شيءً يضغطُ على صدري ويشدُّ على حنج رتي، الآن ودون أيِّ جهد...، وتلقائياً وفي الوقت الذي تجري فيه دموع سعادة ٍ حلوة، تنبثقُ كلمات الحبّ. قبل ذلك

لم يكن باستطاعتي أن أقول له شيئاً آخر غير: ما أشقاني، يا أبت إ... الآن ما عدت أفكر بنفسي، بل أفكر به وصرخة الحب هذه تصعد من قلبي إلى شفتي : كم أحبُّك (تعانق أباها من جديد.)

لورنشو-. إنس، بُنيَّتيا

إنْسُ-. وأنْتِ أيضاً، يا أُمَّي...؛ أنْتِ أيضاً. (وهي تُعانقُ أمَّها، يبتعد دُن لورنِثو ودُن توماس عن الأريكة حيث تبقى أنخلِا وإنسِن، ويمضيان إلى الوسط.)

توماس -. يا لك من فيلسوف مسكين انظر، ما من واحدة منهما قرأت صفحة واحدة من كلّ هذه الكتب، وتعرفان أكثر منك. تظنُّ نفسك قوياً وأنت بين أيديهما شمعٌ ليّن؛ تظنُّ نفسك عالماً وأنت بين أذرعهما ساذَج، كيلا أقول غبياً، تظنُّ نفسك عادلاً ومنيعاً على الفساد وإرادة هاتين المرأتين قد تقودُك إلى كلّ أنواع الظلم والضعف.

لورنثو-، لا، يا توماس، فعندما تتملّكني فكرة الخير تصبح إرادتي من حديد.

توماس-، لا أقول "سنرى"، لأنهما ملكان؛ لكن آم لو لم تكونا كذلك! دعني أحاكي الشاعر العظيم وأقول بكلام شعبي: "أيُّها الإغواء، إنّ لك اسم امرأة!"

لورنشو-، (بشيء من التأثر.) "كلام بكلام بكلام ا" سبق وقلت، لا شك بنوع من الحيطة، إنّك تُحاكيه.

توماس- هاأنت تبدأ الخطابة ا

إنس-. لا تُزعِجُ بابا (ام نفد تُرمات منا الركتير لا تندع

لورنثو- تُرهات هذا الدكتور لا تزعجُ، يا بُنيّتي.

توماس-. إذن توصلنا إلى أنه باللطف والصداقة والحبّ، بهذا الذي تسميه إغواءات غامضة لروحٍ على روح أخرى يمكن ويجب الوصول إلى...

لورنثو-. إلى حدِّ التضحية، نعم وليس أبداً إلى الجريمة.

توماس-. حدٌّ أقصى جميلٌ لكتاب في الأخلاق!

لورنثو- ، بل والأفضل في الضمير .

توماس-. أليس هناك حالات سيضطر فيها هذا الضمير الصارم للتسامح مع حالات صغيرة وصغيرة جدّاً، حجمها لا يصل حجم حبّة الرمل لتجنّب الشرور الكبرى؟

لورنثو-. حين يلقي بها على كاهله ستصبح بثقل الجبل.

توماس-. هل تصعد الجبل لأنّ المنصّة لا تكفيك؟

إنس - . كفى، يا دُنّ توماس، لا تقلّ هذه الأشياء لأبي.

توماس-، باختصار: حرب حتى الموت ضدّ الشرّ، مهما كانت أشكاله وأقنعته، أليس كذلك؟

لورنثو- ،أنت قلت ذلك.

توماس-. تطبيق مباشر لنظريتك. وبالفعل كنت قد نسيتها مع أنها رواية بكل معنى الكلمة. اسمعنى جيداً، اصغوا إلى.

لورنثو-، ماذا؟ (تقترب أنخلِا وإنسِنَ من توماس.)

توماس-، رجتني امرأة هذا الصباح أنّ آتيك باسمها ب...

لورنثو-. بماذا؟

توماس-، بقبلة. أنخِلا-، له!

لورنثو-. لي ا

توماس-. بلى، لكن لا تستنفري (إلى أنخلا،) إنها قبلة امرأة عجوز، وتأتي مبلّلة بالدموع. إنّها آخر انقباض مؤلم لشفتين مُحّتضرتين. إنّه الوداع الأخير لكائن لن يعود له وجود خلال ساعات قليلة.

لورنثو-، لا أحزر،

توماس-. هي... تلك المرأة المسكينة أرسلت في طلبي هذا الصباح، فصعدت إلى عليتها التي تموت فيها، قالت لي اسمها، الذي لو لم تقله ما كنت عرفته قط، وأقسمت لي بأنها بريئة ورجتنى مع ذلك أن أتدخل بينكما كي تسامحها.

لورنثو-. أنت تتكلم لغة لا أفهم منها كلمة واحدة.

توماس-. هل تتذكّر موت أمّك؟

ئورنثو-. (متأثراً) ما هذا السؤال، يا توماس الم أعرف أبي. توفي حين كنت صغيراً جداً، لكن أميي... آم، يا أمي ا

توماس-. هل تتذكّر أنها حين شعرت بنفسها جريحة حتى الموت، أرادت أن تُكلّمك ولم تستطع وأنها خلعت من عنقها قلادة لم تكن تفارقها أبداً ووضعتها في يدك وغرزت بأعلى درجات الضيق فيك عينيها اللتين غشتهما الظلمة الأبدية؟ لورنّدو-. أتذكّر جيّداً. تابعٌ... تابعٌ...

توماس-. وهل تتذكّر أنّه عند موت أمّك وفقدانك الوعي ضاعت

القلادة، واتهمت هي بالسرقة؟

لورنثو-، خوانا الله الثانية الله الله الله أمّاً حقيقيّة خلال خمس وعشرين سنة الكن عن أيّ غفران تتكلّم أيّ تسامح مع الشرّا لا الغفرانُ تسامحٌ ولا العجوزُ المسكينة بحاجة لغفراني الهيس، هي قادرة على... مُحال الفراني الهيس، هي قادرة على... مُحال المناس المن المناس المناس

توماس-. ليس مُحالاً إلى هذا الحدّ. حين أعلمت الفتاة التي كانت تحفظ مجوهرات أمّك القاضي بفقدان القلادة المزركشة بالماس وقاموا بالتحقيقات الأوّلية، أنكرت خوانا أنّها معها ومع ذلك ثبت أنّها انتزعتها من بين يديك وحين فقدت أنت الوعي وبعد يومين فوجئت وهي تضع القلادة خلف بعض الأباريق الخزفية، وحُكم عليها بالسجن، أدينت وقضت حكم جريمتها في سجن مذلً، وحدها توصياتك ونفوذك الفعّالة استطاعت أن تعيد إليها، ليس شرفها الضائع، بل، على الأقل، حرّيتها.

لورنثو-، (متأثّراً) حسن القول إنّ خوانا المتهمة، خوانا التي في في فقص الاتهام، خوانا التي في سجنها المذلّ بريئة، وإنّ العدالة البشرية تُخطئ.

توماس-، المظاهر...

لورنثو-. تخدع في مرّات ليست قليلة.

توماس-. وكيف تفسير ذلك؟

لورنثو-. لا بد من وجود تفسير، سرٌّ نجهله.

توماس-. (إلى أنخلا.) هاهو ينطلق لصيد الأسرار والبحث عن تفسير تفسيرات ما ورائية لحدث له من وجهة نظري تفسير بسيط وطبيعي يكمن في الضعف البشري.

الورنشو-. أنا أعلم أنّ مرضعتي المسكينة لم تكن قادرة على فعلة منحطّة كتلك. ولولا المرض الذي أصابني إثر وفاة والدتي لكنتُ دافعتُ عنها، وحين أطلق سراح المسكينة اختفت وذرفتُ عليها دموعَ ألم حقيقيّ، يعلم اللهُ أنّني بحثتُ عنها بلهفة في كلّ مكان، يعلم الله أنّني أردتها أن تأتي إليّ... وهي... قاسية... لماذا لم تأت؟ لا، يا خوانا، يا عزيزتي خوانا، لن تموتي قبل أن أضمّك إلى صدري، أن أردّ إليك قبلة الوداع التي أرسلتها إليّ (باضطراب هو في كلّ مرّة أشدّ. يقرع جرساً فيظهر خادم بزي بوّاب) أهلاً العربة الشدّ. يقرع جرساً فيظهر خادم بزي بوّاب) أهلاً العربة اليس صحيحاً، يا إنسَّ؟

أنخلا-. على كلِّ الأحوال هذا عمل إحسان.

لورنثو-، تصحيح عادل جدّاً! (يخرج لحظةً من الباب الأيسر.) توماس-. هذا من أكثر الأشياء طيبة، لكنّه من أكثر الأشياء سنذاجةً. وسيصدّق كلّ ما ستحكيه له هذه العجوز المسكينة

ويعتبره إيماناً. سيساعدها هو نفسه على ابتداع أيّة قصتة غريبة. آو، يا أنخلا علينا أن نبحث في هذه المكتبة كالبحث الطريف والعظيم الذي قام به الراهب والحلاق في مكتبة الشريف العبقري.

أنخِلا-. آه لو كنتُ أستطيع (يعودُ دُنْ لورنِثو ليدخل وقد ارتدى بزّة الشارع.)

لورنثو-. (إلى دُنُ توماس.) هيّا، لنمش ِ تعالَ معي لتساعدني على المجيء بها.

توماس-. أنا دائماً رهن إشارتك،

لورنثو-. هل تعتقد أنّها تستطيع أن تأتي؟

توماس. تموت البائسة ضنى، وسيّان لفظت أنفاسها الأخيرة في عليتها أو على وسائد عربتك أو وهي تدخل هذا القصر المسحور بالنسبة إنيها. ومع ذلك فمن المحتمل أن تنعشها السعادة وتمنحها بعض الساعات من الحياة،

لورنثو-. هيا بنا إلى هناك، وداعاً يا أنخِلا، وداعاً، يا إنسَ. إنسَّ-. (بدلال،) وداعاً ... وبعدها ... هل ستقابل الدوقة؟...

لورنشو-، بلى، يا بُنيَّتي، ساذهب فيما بعد، أنت تستطيعين أن تصبري، أمَّا المسكينة فلا تستطيع، هي أوّلاً.

أنخِلا-، (جانبياً، إلى دُن توماس،) هل تقول لي إنه إذا تزوّجت ابنتي، لن تكون عرضة لأيّ خطر؟

توماس-. أخطار الزواج، يا سيدة، ليست قليلة. (يخرج دُن توماس وأنخلا من العمق وهما يتحدثان بصوت خافت. خلفهما دُن لورنِثو وإنس، التي تودّعه في الباب.)

المشهد الرابع

تعودٌ إنس للى وسط الخشبة، سعيدة كطفلة وهي تضربُ كُفًا بكفّ.

إنسُّ-. اليوم بالذات سوف يكلِّم الدوقة! لقد وعدني وهو جدّيٌّ تماماً، ويفي دائماً بوعده. طبعاً سيكلِّمها (وأبي حسنُ الكلام! طبعاً فهو عالم. بالتأكيد سيقنعها. إذا كان رجل مثله لا يستطيع أن يُقنعَ هذه السيّدة بأنّني يجب أن أتزوّج من إدواردو، فبماذا ستفيده كلّ دراسته؟ وما فائدة كلّ هذه الكتب بالفرنسية والإيطالية والألمانية، بل وباليونانية؟ علم لا نفع منه! لكن، هاه، ستفعل الدوقة ما يريده منها. ثمّ إنّ الجميع يقول إنّها قديسة. أليست كذلك! ما دامت أمّ إدواردو فهي قديسة. منحك اللهُ قداسة طيّبة (ماذا تفيدها قداستها؟ لا شيء، لا شيء، سنتزوّج. (وقفة قصيرة.) يبدو كذباً، يبدو حلماً 1 لا، يا إلهي؛ إذا كان حلماً فلا توقظني منه أبداً ! لكنَّه ليس َ حلماً لا فهذا مكتبُ والدي. وهذه هي كتبه. (وهي تقترب من أحد الرفوف.) نيوتون، كانط، هيفل، هومبولد، شكسبير، لاغرانج، أفلاطون، القديس توما ... طبعاً، لو كان حلماً ما كنتُ لأتذكّر كلَّ هذه الأسماء. ما أدراني أنا بمثل هؤلاء الرجال المشاهير؟ (ناظرة من الشرفة.) وحين أكرِّرُ أنَّه ليس حلماً: فلأنَّ المطر يسقطُ في الخارج، يسقط ويسقط؛ يا له من مطر سعيد، كأنَّ الهواء حجبٌّ من بلور وأنا أرى نفسي في المرآة (تقترب من المرآة بدلال وغنج.)

أنا أنا، أنا نفسي، أعرفُ نفسي جيداً. أنا بوجهي البيضويّ، الذي يقول إدواردو إنّه بيضويٌّ تماماً ل... تصوّر ذوقه لله وبعينيُّ البنيّتين، اللتين يقول إدواردو إنّهما في غاية الجمال للا، لا يوجد من هو مثله لقول أشياء كاذبة ولطيفة لليس صحيحاً أنّ عينيَّ تبرقان في هذه اللحظة وعلى سعادة ودفء المدخنة بطريقة ... أود لو أكون جميلة، أكثر جمالاً، له ...؛ له ... وهو لا يأتي ل... كم يتأخّر لا الآن وأنا أرغب بمجيئه ... لن يأتي ... سنرى أنّه لن يأتي، آه ما أشد أنانية الرجال وما أسوأهم لا

المشهد الخامس

إنس وإدواردو.

إنسن -. (خارجة للقائه،) إدواردو...؛ إدواردو١

إدواردو-. إنس حياتيا

إنس -. يا لها من ساعة للمجيء ا

إدواردو-. (بنبرة إذعان،) أنا دائماً آتي في الثانية.

إنسن-، والساعة الآن الثالثة،

إدواردو-. معقول؟ (وهو ينظر إلى الساعة.) لا، يا حياتي، إنّها الثانية إلاّ ربع.

إنس -. (أمّارة) بل الثالثة.

إدواردو-. (مشيراً إلى الساعة.) الثانية إلا ربع؟ هل اقتنعتِ؟ (مشيراً إلى ساعة المدخنة.) وفي هذه الساعة أيضاً.

إنسِن - (مُهانة) طيّب، طيّب معك حقّ ما أرقّك من حبيب، يساوم على الدقائق؛ ويبدو له دائماً أنَّ الوقت لم يحن للمجيء وأنّه دائماً تأخر كي ينفصل عن حبيبته إنسٍ، يريط دقّات قلبه إلى مسنّن ميقت!

إدواردو-. (متوسيّلاً .) إنسنا

إنسِن -. إذهبَ الله أمامك الشانية بعد ... ما زال أمامك خمس عشرة دقيقة ... تذهب إلى طريق سان خيرونيمو، تمضي في مشوار، تنظر الى الناس وتعود في الثانية تماماً. إدواردو -. إنس ا

إنس -. إذا كانت هذه هي الساعة التي تأتي فيها عادةً! فليس هناك ما ينقص غير ذلك! ماذا سيقول مركز المراقبة الفلكي إذا سبقت؟

إدواردو-. بحق الله اعذريني ا... أخطأتُ.

إنسن -. لا، إذا كان هناك من تصرّف بخفّة فهي أنا. فرغبتي سببقت الساعة...؛ وأنت كي تُعاقبني، تمضي وماذا تفعل، تضع أمام عينيّ ميّقت من مياقت لوسادا (تقوم بحركة فظّة من يدها من النوع الذي يُدخل كما يقال عامياً شيئاً في عيني الآخر.) يا لك من عاشق في غاية الشاعرية الواردو -. أعترف بخطيئتي، وأتوب وأطلب منك المعذرة ألف مرة.

إدواردو-. المسألة أنني أتيت في غاية السعادة، وغاية السرور، إلى حدِّ أنني لم أعرف ما قلت، وحتى الآن لا أعرف ما أقول.

إنسن -. أنا أيضاً كنت ظالمة باتهامي لك، يا إدواردو؛ لكنني كنت في غاية السعادة بحيث أنني كنت أرغب بمجيئك وكانت اللحظات تبدو لى قروناً.

إدواردو-. يجبُ أن تعلمي، يا روحي...

إنسن-. (دون أن تسمعه.) عليّ أن أزفٌّ لك خبراً عظيماً.

إدواردو- (مثلها .) أنّنا أخيراً أصبحنا سعيدين.

إنس -. أعتقد ذلك، سعيدان مدى الحياة.

إدواردو -- مثل الكذب ا

إنسِن -. لأنّ والدي وعد اليوم، اليوم بالذات، هل فهمت؟... لكنّك لا تسمعني!

إدواردوب. (دون أن يوليها إذناً صاغية.) لأنَّ أُمّي...

إنس -. أُمَّك الله ما بها؟

إدواردو-. ستأتي خلال نصف ساعة لتطرح موضوع زواجنا.

إنِسٌ-. هي؟ ... الدوقة؟

إدواردو (بوقار هزلي.) السيدة دوقة أَلَمونَّتِ تتشرَّف بأن تطلب من السيديَّن أبندانيو هذه اليد البيضاء (آخذاً يد إنسَّ،) لابنها دُنَّ إدواردو؛ مع أنَّ أدواردو الصغير قد تمكِّن منها وشدها إلى قلبه، ولن يكون من السهل أن يفلتها حتى ولو لم يُعطوها له.

إنسِن - . هي؟ ... هي ستأتي؟ صند قوا حين قالوا: هذه المرأة قديسة!

إدواردو-. هذه المرأة هي أمّي؛ تحبّني من كلِّ قلبها وقد ضممتها هذا الصباح وهي تبكي بين ذراعيَّ، وأذَعنت لتوسلاتي. فيها الكثير من مآثر أسلافها المجيدين، فهي تولي الشرف طقساً دينياً، وتُفضِّل موتي على ارتباطي بمن تحمل في اسمها أدنى وصمة، لكنها تُقدَّر قيمة دُنَّ لورنِثو، مجده العلميّ، أيضاً مجده...

إنسن - حسن ، حسن ، كفاك حكايات اليستخلص من كل هذا أنها ستأتي اليوم بالذات وأننا سنتزوّج قريباً وسنكون في غاية السعادة ، أليس كذلك ؟ هذا هو ما يهم ، أي أكثر ما يهمتني ، لا أدرى ما إذا كنت أنت ...

إدواردو-. جاحدة، أتشكّين بي؟

إنسِنّ - لا أشكّ، لكن ليست سعادةً قليلة أن تُذعن أُمّك، إذ أنّك ... المرء مدين أنتَ تُحببُني كثيراً، أعرف ذلك ... لكنّ ... المرء مدين بالاحترام لأمّه. ولو قالت لك لا، ولأنّك ابن صالح، أليس كذلك، يا إدواردو؟ ما كنت لتنكّد عليها عيشها ولتخليت، وروحك تؤلمُك، عن إنس المسكينة التي تُحببّك - لا تَستّ مَعْ هذا، أيّها الجاحد! لا أحد يجب أن يسمعه! - التي تُحببُك كثيراً... ودونك... تصور الجنون... لماتت ألماً!

إدواردو-. إنسن، يا غاليتيا

إنسن - . حتى تعرف أنّ عليك أن تكون شكوراً لأمّك، لأنّني مدينة بسعادتي لها وليس لك.

إدواردو-. قاسية اهل تعلمين ماذا كان من الممكن أن أفعل أمام

العوائق؟ هل تعلمين؟
إنسِن -. بلى، تُذعن، وتتخلّى عنّى،
إدواردو -. هذا مُحال، لا من أجل شيء ولا من أجل أحدا
إنسِن -. أقسم لي!
إدواردو -. أقسم لك بأقدس الأقداس!
إنسِن -. يا للسعادة!
إدواردو -. يا للضرحة!

المشهد السادس

إنسَّ، إدواردو، خوانا، دُنَّ لورنتو ودُنَّ توماس. تظهر خُوانا في باب خلفي يسندها دُنَّ لورنتو ودُنَّ توماس وتتوقّف لحظة كي تأخذ نفساً ثمَّ تتقُدَّم، ترتدي بزَّةً داكنة وبائسة.

إدواردو-. (ملتفتاً.) يا لها من مجموعة مكفهرة الماذا تأتي هذه السحابة السوداء لتغشى زرقة سمائنا؟

إنسل-. إنها خوانا، مرضعة أبي، سترى أيّة رواية هي حياتها، سأحكيها لك لاحقاً.

لورنثو-، على رسلك، على رسلك، يا خوانا.

خوانا-. من تكون هذه الآنسة؟

الورنثو-. إنسِن، ابنتي، اقتربي، يا إنسِن، (تقترب إنسِن، يتبعها إدواردو،)

خوانا-، ما أجملها! تبدو لي ملاكاً. حين أغمض عيني للأبد وأرى كائناً مثلك بجانبي فهذا يعني أنني سأكون في السماء.

لورنثو-، خطوة أخرى،

توماس-. جهدً آخر: الأخير. (يصلون إلى الأريكة حيث يُجلسان خوانا وتبقى إنس حولهم.)

خوانا-. بودّي لو أَقبِلكِ (مشيرة إلى إنسَّ. تقترب إنسِ أكثر، تأخذها خوانا من يدها وتقرّريها منها.) لا...، يدك تحرقُ وهمي يُجمّد برداً...؛ وعليّ ألاّ أقبّلك، بعيداً بقبلتي، قبلة الموت عنك... (تُبعدها بعذوبة وتُفلِتُ يدَها.) ساقبّلك بفكري...؛ بيديَّ لا.

توماس- (بصوت خافت إلى إنس وإدواردو.) هيا بنا، المسكينة تريد أن تكلم على انفراد . (إلى خوانا .) وداعاً، شدي عزمك؛ انتهت الآلام.

خوانا-. نعم، آلامٌ هذا العالم.

إنسنّ-. (تتوقّف برهة لتنظرَ إليها.) يا لها من امرأة مسكينة! إدواردو-. تعالَي، يا عزيزتي إنسنّ. (يخرج دُن توماس وإنسِنّ وإنسِنّ. وإدواردو من جهة اليمين.)

المشهد السابع

دُن لورنثو وخوانا

خوانا-، (بعد وقفة،) هل ذهبوا؟

لورنثو-. بلى، يا عزيزتي خوانا، أصبحنا وحيدين.

خُوانا - . أخيراً ... ، أخيراً جاءت اللحظة التي طالما انتظرتُها ... كلُّ شيء ينقضي اسمعٌ ، يا لورنشو ، شيء ينقضي اسمعٌ ، يا لورنشو ، الحياة تمضي تمضي سريعةٌ جدّاً ، لكن قبل ذلك علي ً أن أقول لك أشياء كثيرة . أولاً أنا بريئة ؛ أنا ... ، لم أبغ ... ؛ أنا ... (مكروبةً .)

لورنثو-. أعرفُ، يا خوانا، أعرف.

خوانا-. لا تعرف. كلُّ شيء ضدّي ...؛ كلُّ شيء.

لورنثو-. بالله عليك، لا تزعجي نفسك؛ انسي، ارتاحي.

خوانا - ، أنسى ؟ بلى؛ قريباً سانسى ، أرتاح ؟ أمامي وقت طويل للراحة ، فاليوم أريد أن أعيش ... ؛ وإن عانيت ، وإن بكيت ... أريد أن أحمل معي دموعاً وقبلات وإجهاشاً إلى الحفرة ... كي أملاً ذلك الصمت وتلك الوحشة بشيء يذكّر بالحياة . (وقفة .) لذلك أردت أن أقول لك بعض الأشياء . لكن كيف وأنا لم أُعدتك ؟ لكن كيف وقبل الكشف يأتي الشك ، وقبل الشك ، الربية وقبل الربية التبيّر ، هذا ما لا أدري ما هو ، الشبح الذي يُسقِط على الروح شيئاً يأتي هناك في

البعيد؟... أنت لا تفهَ مُني، ولا أنا أعرف كيف أعبّر عن نفسي مع أنّه مضى عليّ أربعون عاماً وأنا مع الفكرة ذاتها، تصوّر أنّني أنا من يجب أن توضّح هذه الأمور جيّداً.

لورنثو-. قولي ما يحلو لك، لكن دون أن تزعجي نفسك.

خوانا - . بلى، ساقوله، كيف ساموت دون أن أقوله لك؟ أولاً كي تقتنع أنني لم أكن امرأة بائسة ... لصة ... (مخفية وجهها .) لورنثو - . اسكتي، الا تلفظي هذه الكلمة .

خوانا - . ثمّ إنّ فتح قلبي لك هو آخر عزاء متبقّ لي . اعذرني ، يا لورنشو . فالذين يوشكون على الموت يصبحون في غاية الأنانية . . . ما يشكلُ أقصى حالات السعادة بالنسبة إليّ يشكّل ألما رهيباً بالنسبة إليك .

لورنثو-. كيف يمكن أن يكون بالنسبة إليّ ألماً رهيباً ما هو بالنسبة إليك سعادة، يا عزيزتي خوانا؟

خوانا -. كيف يمكن أن يكون؟ سيكون، سيكون، يا بُنيّ... اسمح لي، يا بُني أن أمنحك هذا الاسم. لن تزعل، أليس كذلك؟

لورنثو-، بحق الله عليك، يا خوانا ا

خوانا-. طيّب، أنا ساناديك يا بُنيّ...، وأنت ستناديني، يا أمّي... نادني يا أمي. سرّت السماء أو ابتهج الجحيم، عليك أن تناديني يا أمّي.

لورنثو-. يا أمّي ا

خوانا - . (تقذف بنفسها لتعانق دُن لورنثو، لكنّها تتماسك وتسقط على الأريكة .) لا . ليس هكذا ... ، ليس بهذه الطريقة . يا لك

من قاس إ لورنثو-. يا لها من امرأة مسكينة النها تهذي ا

المشهد السابع

خوانا، دون لورنثو وإنسَّ. تدخلُ إنس راكضةً من العمق وتقتربُ من أبيهاً. تأتي مضطربةً لا تكاد تلفظ الكلمات.

إِنْسِ -، أبت ...، أبت ... الدوقة ... جاءت ...، جاءت ... ألا تتوقّع؟ لورنثو-. هي؟

إنسِن -. بلى ... لتطرح المسألة، لقد انتصر إدواردو.

لورنثو-. يا للسعادة، يا بُنيَّتيا أخيراً أراد الله...

إنس- مل أنت سعيد؟

لورنثو-. (يعانقها.) وأنتِ؟

إنسُ-. أنا...، إذا كنت أنت... إذن قريباً، قريباً جدّاً...

خوانا-. (ممسكة بدُن لورنِثو.) لا ...، لا أريدك أن تذهب؛ يجب ألا تتركنى.

لورنثو-. (إلى إنسِن،) قادم في الحال،

إنسن-. لا تتأخّر. وإلا لشعرت بالإهانة...

لورنشو-، لا تخافي، لتستقبلُها أنخلا هناك في الصالة... بكلّ وقار، سأحمل خوانا إلى غرفتها وأخرج في الحال. (تخرجُ إنسِنَ من العمق.)

المشهد التاسع

خوانا ودُنّ لورنِّثو

لورنشو-. (يريدُ أن يحملها لكنّها تقاوم.) هيّا يا خوانا؛ تعالي لترتاحي، فيما بعد سنتكلّم كل الوقت الذي تريدين.

خواتا-. فيما بعد لا. وماذا لو متُّ؟

لورنثو-. (بقلق.) لا تفكّري بهذا.

خوانا -. منذ عُشرين عاماً لم أرَكَ؛ والآن لا يتركونك معي لحظة واحدة. إنّهم قساة ل

لورنتو-. (محاولاً رفعها .) فيما بعد ، يا عزيزتي خوانا .

خوانا-. وأنت أيضاً تريد الذهاب؟... أنتَ أيضاً! ساعمل على أن

تېقى معي ا

لورنثو-. خوانا ١

خوانا-. اسمع، هذا فقط، ولتذهب بعدها، إذا أردتُ؛ أنا من أخذ الرصيعة.

لورنثو-. أنتِ؟

خوانا-، نعم.

لورنثو-. ولماذا؟

خوانا-. كيلا تراها أنت.

لورنشو-. ولماذا؟

خوانا-. لأنّه كان يوجد في داخلها ورقة وعلى الورقة كتبت أمُّك

كلمات لم أكن أريدك أن تقرأها.

لورنثو-. وما هذه الكلمات؟

خوانا-. هذه، أعرفها عن ظهر قلب: "لورنثو، يا ولدي، في وعاء المقدسات الذي فوق رأس سريري خبّأت شيئاً وفي مغلّف مغلق توجد ورقة. افتحها حين أموت، اقرأ ما فيها، كتبتها في ليلة ندم، اغفر لي وليلهمك الله الصبر."

لورنثو-. (باستغرابً.) "اغفر لي، وليلهمك الله"، تقول؟ خواًنا-. بلي.

لورنثو-. (باستغراب متزايد.) ثم إنني سمعت ما لا أدري من ندم. خوانا-. ندم كانت الكلمة. والآن، اذهب، إذا شئت.

لورنثو-. (متفكّراً.) لا. (وقفة.) وهذه الورقة؟

خوانا-. كتبتها أمّك، ولم يكن سررًا عليّ، أمّا أين كانت مخبّأة فهو ما ما كنتُ أجهله. أمّا أنّ شيئاً كان مخبّا في القلادة فهو ما عرفته من مراقبتي، وما كان في الورقة تكهنت به من تيقّظي. لذلك أخذت القلادة. كانت أسيرتي الشرعية، وكلّفني ذلك السرّ عشرين عاماً من الدموع والآلام وما لا يمكن تصوّره من مرارة وصعوبة،

لورنثو-. غفران...، ندم...، سرّ...، أمّي ا... لا أعرف ما تريدين قوله... أشباح مختلطة تمرُّ في عقلي... وما يشبه برق الضيق في قلبي. تهذين وتجعلينني أهذي معك.

خوانا-. لا.

لورنثو-. لكن تلك الورقة المخبّأة في وعاء المقدسات...

خوانا -. كانت لي وأنت لم تُرَها، كان يجب ألا تراها. وبما أن أملك كانت ستموت، فماذا كان يهمها؟ قلت لك: ليس هناك ما هو أكثر أنانية من الموت.

لورنثو-. لكن وتلك الورقة؟

خوانا-، معی،

لورنثو-. هنا؟

خوانا-. (حاملة يدها إلى صدرها.) هنا، هنا، انظرها، إنها ورقة ليست أكثر من ورقة، ومع ذلك، فإنها تثقل كثيراً على قلبي الورنثو-. علي إذن أن أراها.

المشهد العاشر.

خوانا ودُن لورنِشو؛ دُن توماس في مؤخرة خشبة المسرح.

توماس-. لورنثو ...، لورنثو ا...

لورنثو-. ماذا؟ (بنبرة فِجّة وقلقة.) ماذا تريد؟

توماس-، وصلت الدوقة.

لورنثو-، ساعة مُبارَكة،

توماس-. (جانبيًا) يا لها من نبرة! (بصوت مرتفع) تعالَ لاستقبالها .

لورنثو-، سأذهب،

خــوانا-. لا تتــركني بحقِّ الله! بحقَّ خــلاصِ روحِك! (بصــوتٍ منخفض.) لو تدري...

توماس-. هل ستأتي؟

لورنثو-. بلي، لكن لا تحاصرني ... أقول إنّني سأذهب.

خوانا-. لا تذهب... وسأقولُ لك كلَّ شيء...، كلَّ شيء. سأعطيك الورقة... التي كتبتها أمُّكَ منذ عشرين سنة...؛ إنها يخطها...؛ توقيعها...؛ هذا شأنك...؛ لكن لا تتركني.

توماس-. (في كلّ مرّة أكثر اضطراباً.) هيّا بنا، يا لورنثو! لورنثو-. قلتُ لك سأذهب... سأذهب فيما بعد، أنا أعرف متى يجب أن أذهب. اذهبٌ أنتَ الآن. (إلى خوانا جانبيّاً.) أعطني الورقة.

خوانا-. (مشيرة إلى لورنثو جانبيّاً.) عندما يذهب هذا الرجل. لورنثو-. (بقلق) اذهبٌ توماس-. لكن الدوقة...

لورنشو-. لتنتظر. ألا تترك هي أخرين ينتظرون في قاعة انتظارها؟ فناسي أفضل من ناسها.

توماس-، هل أنت في وعيك؟

لورنثو-. في وعيي، نعم، في وعيك، لا، ما أسوأ حالتي لو كنت كذلك. اذهب بسرعة.

توماس- (يقترب منه باهتمام) ما بك، يا لورنثو؟ لورنثو-، لا شيء، لا شيء...؛ تَعبُّ من سـمَـاعِكَ... اتركني بحقٌ الله ا توماس-. طيب، طيب، طيب، كن يا إلهى، ماذا حل بهذا الرجل؟

الفصل الحادي عشر

دُن لورنِثو وخوانا

لورنثو-، ها نحن لوحدنا!

خوانا-. لورنثوا

لورنشو- ماذا التشكين؟ انظري، سأتركك؟ ... وعدتني أن تعطيني الورقة الحظ ابنتي ينتظرني هناك، ومع ذلك يد من حديد، يد قدر مشؤوم وحديدية تشدّني إلى جانبك، خذي هذا بعين الاعتبار، يا خوانا، فأنا عازم على التحقّق من هذا السدّ.

خوانا-. لورنثو!

لورنثو-. الورقة ا... فأمي كتبتها لي، إنها لي ا

خوانا-. لا تنزعج مني، يا لورنشو روحي، هاهي هنا... هذه هي (تخرجها من صدرها.)

لورنثو-. (يريد أن يأخذها .) هاتها ...

خوانا-. انتظر ... انتظر ... علي أن أقرأها بنفسي ... سأقرأ ببطء أكثر منك ... وبهذه الطريقة ما يُقال هنا لن يدخل في عينيك دفعة واحدة.

لورنثو-، إذن اقرأي اهياا

خوانا-. نعم، يا عزيزي لورنشو، لكن لا تنظر إليَّ. اسمع فقط. (تتخذ وضعية لا يستطيع معها لورنشو أن يرى ما هو مكتوب في الورقة.) "لورنثو، يا بُني، اغفر لي." (تقرأ.) لورنثو-. مرَّةً أخرى!

خوانا-. (تتابع القراءة.) " أعرف أنّ نهاية حياتي تقترب وأنّ الندم أسرني." (وقفة.)

لورنثو-. تابعي!

خوانا -. " بودي أن أقول لك الحقيقة وأنا أحبّك أكثر مما يسمح لي بقولها لك. اقرأ في هذه الأسطر، التي ألطخها بدموعي، سرَّ حياتك ثم اعمل ما تشاء."

لورنثو-. (يريد الورقة.) سرّ حياتي العطنيها ا

خوانا-. لا.

لورنثو-، ما هذا الكابوس، يا خوانا؟ إيّ طوق من حديد هذا الذي طوقت به جبيني، ويضغط على صدغيّ بشكل لا يحتمل؟ أعطينيها.

خوانا-. لا والله!

لورنشو-. يجب (يأخذ الورقة ويقرأ بضيق فظيع.) "كان والدك ثرياً، ثرياً جدّاً، ثروته بالملايين، بالملايين الكثيرة، وأنا فقيرة جدّاً، لم ننجب أولاداً." تقول: لم ننجب أولاداً!

المشهد الثاني عشر

دُن لورنثو، خوانا وأنخلِا وبعد ذلك إدواردو.

انخلا -. (تدخل فجأة.) الدوقة ا...

لورنثو-. (يطلق صيحة غضب، تنتزع خوانا منه الورقة وتخفيها .) مرّةً أخرى ا اذهبى الماذا جئت؟

أنخلا -. لورنثو ... لورنثو ...

إدواردو-. (يدخل فجاةً.) دُنْ لورنِثوا

لورنثو-. أنتَ أيضاً لا اذهبوا لا اذهبوا جميعاً لا

لورنثو-. اذهبوا اذهبوا انهبوا المربوكم فإذا تطلّب الأمر سارجوكم راكعاً، لكن اتركوني آه من الأنانية البشرية ليظنون أنه لا يوجد غير عواطفهم ومصالحهم توماس أنخلا المواردوا... الدوقة الله على الجمعمة الجمعمة المحمة المحمة

إدواردو-. المسألة أنّ أمّي قادمة...

أنخِلا-. المسئلة أنّ الدوقة قلقة من الانتظار، وهي قادمة إلى هنا...

إدواردو-. تقول إنها تريدُ أن تبحث عن العالم في عرينك. لورنشو-. فلتأت، لكن اتركوني أنتم! اتركوني! أو أنني سأُجنُّ من البأس!... أنخلا-. لا، هذا مُحال (إلى إدواردو.) لا يمكن لأمّك أن تراه بهذه الحالة.

إدواردو-. تعالى، أنت، يا انخلا؛ تعالى. لنكسب الوقت ونُلهها في الرواق ولنر ما إذا كانت إنس تستطيع تهدئته خلال ذلك. (تخرج أنخلا وإدواردو من مؤخرة المسرح.)

المشهد الثالث عشر

دُن لورنثو وخوانا

لورنثو-. الورقة!... هذه الورقة المشؤومة، أين هي؟ ...هي معك اخوانا-. (تخرج الورقة.) نعم.

لورنثو-. إذن أعطيني إيّاها... تقول لم ننجب أولاداً (محاولاً أن يقرأ، لكن دون أن يتمكّن.) أين هي؟... لا أدري ولا أرى الحروف السحابة تمرّ أمام عينيّ الم ننجب أولاداً الا أستطيع اقرئي أنت، أرجوك... (تأخذ خوانا الورقة.) هنا، هنا... حيث تقول "لم ننجب أولاداً!"

خوانا - . (قارئة .) "يمرف زوجي أنّ مرضاً عضالاً سرعان ما سيودي بحياته . كان المسكين يحمل الموت في قلبه . أراد مجنوناً حبّاً أن يؤمّن لي كامل ثروته ، وأنا أسأت التصرّف ، الآن أعرف ، أسأت التصرّف ، لأنّه كان له أبّ ، لكن أنا ... اغفر لي يا لورنثو ، أنت الطيّب والنزيه : أنا قبلت .. (وقفة .)

لورنثو-. تابعي...، تابعي...

خوانا -."بحثنا عن طفل... لا أستطيع، لا أستطيع أن أكتب أكثر. خوانا تعرف هذا السرَّ. خوانا ستقول لك كلَّ شيء ارجوك مرّة أخرى أن تغفر لي. وداعاً، يا عزيزي لورنِثو وليعنك الله احببتُك كابن وإن لم تكن ابننا ."

لورنثو-. أنا اأنا الم أكن الله الكراب ماذا تقول؟... أنا لم أكن ابنها اأنا أحمل اسماً ليس لي؟ أربعون عاماً وأنا أنفق من مال غريب! أنا سرقت كلّ شيء الله الوضع الاجتماعي، الكنية، الشروة اكلّ شيء اكلّ شيء المتى دغدغات أمّي ذاتها، لأنّها الشروة اكلّ شيء الكلّ شيء الكنية الم تكن أمّي الله الله الله الله الله الحدّ الله الحدّ الله الحدّ الله الحدّ الله الحقيقة النظري، الآن ليس لأجلي؛ فليكن من أمري ما شاء الله الله الله من أجل أسرتي من أجل أسرتي من أجل المنت الشقيتين الشقيتين الله التي ستموت من أجل المن أجل عزيزتي إنسن السقيتين التي ستموت من و أنا لا أريدها أن تموت الله الحديد فوانا الكرائي الشقية الكرائي الشقية الكرائي الشقية الكرائي الله الحديد الكرائي الله الحديد الكرائي الشقية الكرائي الكن السكت من أجل الكن الله الحديد الكن السكت الله الحديد الكن السكت الكن السكن الكن السكن السك

خوانا-، (بصوب منخفض،) هي كذلك،

لورنثو-. تبدو كذباً لا تلك المرأة التي طالما أحبّتني لم تكن أمّي الأخوانا-. لا. أمّك كانت تحبّك أكثر ا

الورنثو-، إذن من كانت؟

خوانا-. لورنثو!

لورنثو-. ماذا كان اسمها؟

خوانا-. انظر إليّ دون غضب وسأقوله لك.

لورنثو-. أين هي؟

خوانا-. تصارع عذابات الجحيم

لورنثو-. وهل ماتت أيضاً؟

خوانا-. إنها تموت! (في نهاية هذا الحوار تنهض خوانا وتشكل مع لورنثو مجموعة مضطربة مضطرمة هاذية، حين تلفظ آخر جملة تسقط من جديد على الأريكة خائرة،)

لورنثو-. خوانا!

خوانا-. (تتلوّى ضيقاً.) لا، هذا الاسم لا!

لورنثو-. أمّاه!

خُوانا-، نعم، هذا الاسم نعم! (تنهض بقوّة قصوى وتُعانقُ دُن له الورنثو.)

المشهد الرابع عشر

المذكوران مع دُنّ توماس

توماس-. هاهي هناك... هاهي تصل... خوانا-. (متخلصة من ذراعي دُن لورنثو،) اتركني، إنّهم قادمون،

يجب ألاّ يروني...

لورنشو-. لا...، انتظري...، لا أدري ما أقوله لك...، لكن عندي أشباء كثيرة أقولها لك...

خوانا -. فيما بعد، وداعاً ... صار باستطاعتي أن أموت افقد ناديتك بابني التوجه خوانا ببطء إلى باب اليمين يتبعها دُن لورنثو. دُن توماس يراقب في العمق)

لورنثو -. لا، ليس بعد... (تختفي خوانا خلف الستائر. دُن لورنثو يريد أن يدخل. يُهرع دُن توماس من العمق ويوقفه بالقوّة، يقطع عليه الطريق ويجبره على التراجع، يبقى موقف لورنثو في هذا المشهد والمشهد التالي متروكاً لفطنة وإلهام المثل.)

المشهد الخامس عشر

دُن لورنِثو، أنخلِا، إنسِّ، الدوقة، إدواردو ودُن توماس. الشخصيات الجديدة تدخل من مؤخرة الخشبة.

الدوهة -. (بلطف جمّ) السيّد أبندانيو؟ (وقفة .) لورنشو -. (بصوت حزين ومكفه روبشيء من الشرود .) أبندانيوا أبندانيوا ... لا أعلم أين هو، يا سيِّدةً!

أنخلا-. (جانبياً.) ماذا يقول؟ إسرَّ-. ما هذا، يا إلهي؟!

الدوقة-. أتفهم الانزعاج الذي يسبّبه لك حضوري، يا سيّد

أبندانيو... جئتُ أنتزع منك أحبّ الناس إلى روحك (مشيرةً إلى إنسّ.) ولا أستغرب فعلاً أن تُعاملني كعدوّة. (بطلاوة.)

لورنثو-، عدوي هو قدري: وحده السنيسُ-. (جانبياً) ما هذا، يا إلهي؟

الدوقة-. معك حقّ ،عدوّ الآباء الضاري.

لورنثو-، وأكثر من ذلك الأبناء.

الدوقة -. لا أنفي ذلك، لكن، بعد كلّ شيء القوانين الإلهية هي التي تحكم بالآلام البشرية، ومن المحتّم احترامها. (محاولة أن تمنح الحوار اتجاهاً آخر، لكن دون أن تتمكن من السيطرة على استغرابها.)

لورنثو-. آه، يا سيدة فهذه القوانين أشد قسوة في بعض الأحيان مما لو كانت من صنع القسوة البشرية! (تقوم الدوقة بحركة قلق حيّة؛ يقترب إدواردو منها؛ وإنسِ من أبيها، بينما تراقبُ أنخلا ودُن توماس بنهول.)

إنسِ -. (جانبياً إلى دُن لورنثو.) بالله عليك، يا أبي ا إدواردو -. (جانبياً إلى الدوقة.) أمّاه، أمّاه، من أجلى ا

الدوقة - ، (بكبرياء وبنبرة جافّة قليلاً ،) أنا أمَّ وأعبد ابني، أعرف أنَّ سعادته مُحالة ما لم يتقاسمها مع هذه الآنسة وأفضل أن يكون عندى ولدين على أن أفقد واحداً .

إنسن-، (جانبياً إلى دُن لورنشو،) أرأيت، يا أبت ما أطيبها؟ لورنشو-، فقدان الولد شقاء فظيع!

الدُوقة- ، (بطلاوة وهي تقترب من دُن لورنثو،) هل تتفضّل وتمنح

ولدي اسم الابن أيضاً؟

إنس -. (بضيق وصوت منخفض.) أجب، يا أبت.

لورنشو -. (يمكثُ ناظراً إلى ابنته، يمسك رأسها بيده ثم يتأمّلها بتأثر من جديد.) ما أجملك لا يبدو محالاً ألا يكون باستطاعتك أن تفعلي أكثر من قانون الشرف لا

الدوقة - (دون أن تستطيع السيطرة على نفسها) باختصار، يا سيد، أبندانيو، هل تريد أن يمنح ابني، دوق ألمونّت اسمه للآنسة إنسن ؟

لورنثو -. (بأقصى درجات العنف،) لو كنتُ وغداً لكانت فرصة كي أمنح اسماً غريباً لمن ليس له اسماً خاصاً!

إنسن- أبيا

أنخِلا وتوماس-. (في آن معاً .) لورنثوا

الدوقة -. عليَّ أن أعترف، صدفاً، أنَّني لا أفهم أجوبتك ولا موقفك، المختلف تماماً عن الذي كنتُ أنتظره منك، وأقتصر على سؤالك للمرَّة الأخيرة: هل تقبل؟

نورنشو -. أنا رجلٌ شريف: تستطيع الفجيعة أن تهزمني لا أن تُلطّخني، أيّتها السيّدة الدوقة، هذا الزواجُ مُحالٌ.

الدوقة -. (تشعر بنفسها مجروحة وتتراجع قليلاً.) ماذا النس -. ماذا تقول؟... أبت السرة -. ماذا تقول؟...

لورنشو - . مُحال، نعم للأنني لستُ من آل أبندانيو، لأنَّ والديَّ لم يكونا والديَّ، لأنني لا أستطيع، يا بُنيَّتي أن أمنحك إلا اسماً مضحكاً وملطّخاً؛ لأنّي أشقى البشر ولا أريدُ أن أصبح

الأكثر بؤساً؟ إسن، أبت، أبت لماذا تقتلني؟ (تسقطُ على الكرسيّ.) أنخلا-. ماذا فعلت، أيَّها الأحمق؟ لورنَثو-. إنس ا... إنس ا... انتصرت، يا إلهي، لكن ارحمني! (يحيط الجميع بإنس في المناهدية المناهدية

الفصك الثاني

ديكور الفصل السابق ذاته، الوقت ليل. المدخنة مشتعلة. شمعة لها مرآة على طاولة المكتب.

المشهد الأول

يظهر إدواردو وهو يصيخ السمع عند الباب الأيمن: يأتى بعدها إلى الوسط

إدواردو-. لا يُسمع شيء. تراها عادت إلى وعيها؟ وفي هذه الحياة، ما أقرب الحياة من الموت (وقفة) ويفكّرون أنّ عليّ أن أصدّق هذه القصّة أتخلّى عن معبودتي إنسن ليظنون أنّ عليّ أن أصدّق هذه القصّة المضحكة التي يرويها دُن لورنثولا يا له من عالم مسكين اماذا يعرف هو عمّا يقول؟ (وقفة قصيرة) حتى ولو كان كما يؤكّد ألن تبقى إنسن الأجمل والأحبّ بين النساء؟ ستكون لي، حتى ولو زحفت عند قدمي أمّيّ ورويتهما بدموعي. سيذعن دُن لورنثو حتى ولو كممنا فمه وألبسناه سترة الجنون، وهذه المتسوّلة البائسة التي أصابت الفيلسوف الطائش بعدوى هذيانها سترحل من هنا، سترحل بعيداً بعيداً جداً عنّالا على أن تقاوم إنس الضرية التي تلقّتها من أبيها لا ريقت رب من جديد من الباب ويصنعي، لا شيء...، لا شيء...، من أبيها الصمت ذاته دائماً. (يعود إلى وسط الخشبة.) أبوها، آم من أبيها المن أبيها المن أبيها المندية التي تلقّتها من أبيها من أبيها المندية المقته (منفعلاً بالتدريج) أحمق، كم

يتلذّذ بتعذيبها أبوها عالم بلا دماغ، مُلحد ذو ميول نحو القداسة، دُنّ كيخوته جديد، أقل عبقرية وأكثر حذلقة، فارس باياردي مزيّف الشرف. أيّ أب هذا الذي يصبو إلى كسب صدى الفضيلة بتمزيق قلب ابنته اللعنّة على هكذا فضيلة، ولكم تبدو الجريمة أفضل منها الا أحد يأتي... وتمضي الساعاتُ... أحدّ يقتربُ.

المشهد الثاني

إدواردو والدوقة، إلى اليمين.

إدواردو-. أُمَّاه... إنسَّ، كيف حالها؟... هل عادت إلى وعيها؟ الدوقة-. أخيراً بحمد الله، مسكينة! لم أبغ المغادرة قبل انقضاء الخطر؛ لكنَّها تحسننت، والآن يا بُني...

إدواردو-. الآنَ عليَّ أن أراها.

الدوقة-. إدواردوا

إدواردو-. وبعدها علينا أن نتكلّم مع دُنُ لورنثو؛ ثمّ...

الدوقة - . ثمّ عليك أن تأتي على صبري . عملت كلّ ما سمحت لي به اللباقة والكرامة والاحترام الاجتماعي وأكثر قليلاً . وقد آن الأوان كي تبرهن عن رجولتك وتتذكّر جيّداً من أنت وتصغى إلى صوت الواجب .

إدواردو-. حسناً ما تقولين. ساعمل ما يجب عليّ عمله، لكنني لا أعرف، اعذريني يا أمي، إذا كنا نفهم الألم بطريقة واحدة.

الدوقة - . عليك أن تتخلى عن إنس الى الأبد إدواردو - . لماذا؟ ألأنها فقيرة؟

الدوقة .. ليس هذا هو السبب.

إدواردو - ، إذن لماذا ، لماذا يا أمي؟ ألأنّ لورنثو يحاول القيام بعمل بمثل هذه الرفعة ، والذي إذا ما حقَّقه خلّد اسمه في الكتب والتاريخ ، بل ومن يدري ما إذا كان سيكسب مكانة مرموقة ؟ الدوقة - . تبقى على مزاجك رائقاً وهذا ليس علامة سيّئة .

إدواردو-. أريد أن أثبت لك أنني أحافظ على برودة دمي، ما عدا ذلك يجبُ أن نأخذ دُن لورنِثو بالمزاح أو حبسه في مشفى المجانين.

الدوقــة-. لا تقل هذا، يا إدواردو؛ لا أحب أن تكلمني بهـــذه الطريقة. لا تستطيع أن تتجاهل أن سلوك دُن لورنشو هو سلوك رجل طيب، على الرغم من وجود شيء من المبالغة والاستعراض الميلودرامي في مشاريعه.

إدواردو-. لماذا يتمتّعُ بشقاء ابنته؟

الدوقة -. لأنّه يمتثلُ للقوانين البشريّة دون أيّ احترام للعواطف الانسانية.

إدواردو-. إذا كان دُنّ لورنثو شريفاً إلى هذا الحدّ وبريقُ الأعمال النبيلة يتمّ توارثه فلا بدّ أن ملاك حياتي غنيّة بالنبل الموروث.

الدوقة -. وغنيّة أيضاً بالعار. (بصوت خافت وعنيف وهي تقترب من ابنها.) لا تملك إنس السما حسناً أو سيئاً تحمله، لأنّ

اسم أبيها مجهول واسم هذه المرأة موجود في سجلات الإصلاحية المشينة لارتكابها جريمة سرقة.

إدواردو-. اسكتيا

الدوهة -. المثل الأجمل لهذه الفتاة المسكينة أن تكون حفيدة مرضعة متواضعة، مشاركة في اغتصاب حالة مدنية، هذا إذا صدق ما يؤكِّده دُن لورنْشو. ربّما كان من التكبّر الأرستقراطيِّ رفضُ ارتباط بمثل هذا النبل، لكن هذا ما تعتبره، أنت الذي تربيت على الحداثة، اهتمامات بالية.

إدواردو-. حسن، يا أمّي، أنا أحبُّ إنس،

الدوقة -. مجنون أنتَ، يا بُني.

إدواردو-. يقولون إنّ الحبّ جنون، ولذا ليس غريباً أن أكون كذلك. الدوقة-. مجنون أنت وتجعلني أنا نفسي أفقدٌ عقلي.

ادواردو-. هل تفضّلين ضياعي؟

الدوقة -. كفى، يا إدواردو؛ لنخرج من هذا البيت، الذي ساءت الساعة الأولى التي دخّلته فيها.

[دواردو-، لكن قولي لي أليست إنسّ ملاكاً؟

الدوقة -. بدت لي المسكينة ملاكاً سماوياً حين وصلت وملاك آلام وأنا أغادره.

إدواردو-. ألا يعترفُ الجميع بأنّ دُنّ لورنِثو عالمٌ وتقولين أنت إنّه قدّيس؟

الدوقة -. سيكون من الظلم نكران عبقريته الواضحة للعيان ونزاهته التي لا غبار عليها.

إدواردو- إذن الشرّ ليس فيهم؟ **الدوقة-** ليس فيهم.

إدواردو-. إذن أليس من المكن تجنّب الفضيحة؟ (وهو يقترب من أمّه ويصبوت خافت.) مَنْ يعرف أن هذه القصّة الشقيّة، حقيقة أو مزيّفة، والتي تبدو لي مزيفة أكثر ممّا هي حقيقية؟ نحن فقط سنسكت عليها. ودُن توماس وهو واحد من الأسرة. هذه المرأة المسكينة التي سيختم صمت أبديً على شفتيها. أولا وأخيراً دُن لورنثو أبُّ وسيفعل من أجل ابنته ما لا تريدين فعله لأجلي. آه، يا أمّي للاذا البحث عن اليأس والموت إذا كانت السعادة في أيدينا؟

الدوقة.. لكن، ألا ترى، يا شقيّ ألا ترى كيف يفسد تناقض الجريمة أفضل الأمزجة. ألا تعرف أنّك تقدّم لي عاراً وأنّك تريد أن تجعلني شريكة في النذالة؟ يا إلهي، ماذا فعلوا بابني حتى يقول هذه الأشياء وتُدغدغه مثل هذه الأفكار؟

إدواردو . لكن من يتحدّث عن العار أو يقترح نذالة الله هل جَعَلَنا دُن لورنثو نفقد عقولنا أم أن عذابي يُبهجك ا

الدوقة-. ألم تكن تتكلّم عن تفادي الفضيحة بالصمت؟

إدواردو-، بلي.

الدوقة - الذن؟

إدواردو-. اسمعي، يا أمّي، ما قلته أو ما أردتُ قوله. إذا كانت قصّة دُنّ لورنثو صحيحة، وهذا ما أشكّ به، فيجب أن

يُبحث بحدر وتأنّ عن الورثة الحقيقيين لهذه الشروة المشؤومة، فتُمنُّحُ لهم بأيّ شكل من الأشكال.

الدوقة-. بأيّة ذريعة؟

إدواردو-. ليس من السهل أن تعشري على ما تطلبي منه، لكن لا تخافي ألا نجد من نعطيه، الجميع بالنسبة لمن يتلقى سيبدون جيدين

الدوقة-. لكنّ إنسّ ستحمل اسماً ليس لها.

إدواردو-. ستحملُ اسمي، وهو يساوي الأسماء جميعاً.

الدوقة-. هاهه، معك حقّ في هذا، لكنَّ دُن لورنَتُو...

إدواردو-. اتركيه بسلام، يكفيه ويزيد عنه ما عنده من فلسفاته.

لنفكِّر بأنف سينا، وفكِّري أن كلَّ شيء، كلَّ شيء يمكن أن يُسوى، إذا قبلت. كلمةً منك تعيد الحياة للمسكينة إنس وتمنحني حياة جديدة، كنت تنتزعين مني بقسوتك ما منحته لي بحبِّك. أعيدي الفرحة لهذه الأسرة الشقية، ودون فضيحة ولا تفاخر ولا استعراضات فارغة وتعود الشروات المغتصبة إلى أصحابها الشرعيين؟ أين العار والنذالة هنا؟

الدوقة -. تذهلني، يا إدواردو، لا أدري ماذا أقول لك؛ لكن صوتاً داخلياً يُحنزني بأن هذا ليس بعدل ولا بصحيح؛ وبأن الخيال لا يمكن أن يفضًّلَ على الحقيقة؛ وبأن الواجب عند دُن لورنثو ينتصر، على الرغم من هذيانه، وعندك تنتصر العاطفة على الرغم من مراوغاتك.

إدواردو-. لكن لماذا؟ أجيبيني؟

الدوقة-. لا أعرف كيف أناقشك، يا إدواردو.

إدواردو-. ما لا تعرفينه هو كيف تحبينني.

الدوقة -. أنا لا أحبّك، أيّها القاسي! أنت نفسك لا تصدّق حين تقوله، لكنّ قلبي يتقطّر ألماً وأنا أسمعه!

إدواردو-. إذن، تنازليا

الدوقة-. بالله عليك يا بُني١

إدواردو-، ستتنازلين، أرى ذلك جيّداً؛ فجبينك شاحب وفي عينيك دموع وشفتاك ترتعشان. (بصوت ودود،) فهما ترتعشان لتقولا لي نعم؛ ولماذا لا؟ هل في كلّ ما فكّرت به من شيء لا ينسجم بالمطلق مع مثالية الكمال الأخلاقي، التي تعزفان على وترها أنت ودُن لورنثو؟ هل من سوء فيما أطرحه؟

الدوقة-. بلى، يا إدوارَّدو.

إدواردو -. لا بد انه قليل اذرة، ظلّ، حيرة صغيرة الا أستحق الم خطيئة عرضيّة ابحثي في القرية عمّن تعاملينه أحياناً بازدراء شديد وتفصلك عنه ترييتُك الأرستقراطيّة بهاوية عميقة، ابحثي عن أمِّ واسأليها بحياة ابنها ما إذا كانت لا تخنق بصرخة حب مل رقة الوعى.

الدوقة -. (باندفاع عاطفي.) المسألة أنّ ما يمكن لأمّ أن تفعله يمكننى أن أفعله أنا أيضاً.

إدواردو-. شكراً، شكراً، يا أمّاه! **الدوقة**-. لكن... إدواردو-. لقد قلته، لقد قلته. (دون أن يتركها تتكلم.) ثم إنه ريّما لم يكن ضرورياً. من الذي يمكن أن يؤكّد أنّ ما قاله دُنْ لورنثو صحيح؟ ما البراهين الماديّة الموجودة؟ ما من برهان بحسب ما نعرف. قول امرأة تُحتَضر وتهذي. وهل يكفي هذا؟

الدوقة-. الحقيقة، لا.

إدواردو-. ونحن لا نملك حتى هذا، لأنّ دُن توماس لم يستنطق خوانا حتى الآن، هل نعرف إن قالته أو حلم به دُن لورنِثو؟ آه، تفكير دُنّ لورنثو ليس موثوقاً!

الدوقة - . لا ، ليس موثوقاً .

إدواردو-. يا للمُغالاة، ياللهول!

الدوقة-. أنا ظننتُ أنَّه جُنَّ.

إدواردو-. لا بدّ أنّه جُنّ. هؤلاء العلماء جميعهم ينتهون إلى الجنون. دُن توماس نفسه يعترف وكذلك أنخِلا بأنّ دُن لورنثو لا يفكّر كبقية الرجال.

المشهد الثالث

المذكوران وأنخلا إلى اليمين

أنخِلا-. بالله عليكِ، يا سيِّدة، لا تتركينا بعد، فإنِسْ تريدُ أن تراكِ، تُناديك وهي تفيضُ بالدموع، أنتِ غذاؤها الوحيد.

الدوقة-. يالها من فتاة مسكينة ا

انخلا-. غادرت فراشها دون أن نستطيع منعها، لأنّ اضطرابها العصبيّ من الشدّة بحيثُ يبعثُ على الخوف، وأرادت أن تأتي لتبحث عنك، لكّن القوّة خانتها . بالله عليك، اذهبي، أيّتها الدوقة، لمواساة ابنتي، أنت الأم الحنون تطلبه منك أمّ مفجوعة.

إدواردو-. وستقولين لها إنه ما زال هناك أمل وإنّ كلّ شيء يعود لدُنْ لورنْثو، أليس كذلك؟

انخلا-. كيف أهل هذا معقول؟ يا سيّدة؟ (تقتربُ من الدوقة ِ وتأخذ يدها بتأثر شديد.)

إدواردو-. نعم، أنا ساؤضّح لك...(إلى أنخِلا.) عليك أن تناشدي روح زوجك.

الدوقة - الكن... (ينف صل إدواردو مع أنخيلا جانباً دون أن يهتم بأمّه، ويتكلّمان بصوت منخفض وعلى انفراد.) إدواردو هذا ابني ويفعل بي ما يشاءً اماذا سأقول للسيّدة الطيّبة إذا كان يقول إنّني موافقة ؟...، آه ما أشد عناده!... والبنت جميلة مثل ملاك، ولطيفة كما لا يوجد مثلها. مسكينة إنسُ اودُن لورنشو يملك أو كان يملك ثروة ملكية... آه، من عظمة وترهات البشرا

انخلا-. فه متُ، فه متُ (إلى إدواردو ثم تلتفتُ إلى الدوقة.) كم أشكرك على طيبك احملي الخبر الطيّب إلى المسكينة إنس، وسأحاول خلال ذلك أن يوافق دُن لورنِتُو وسيوافق، نعم، ضروريّ. امّا أنّه ليس عنده قلب وإما أنّه سيوافق. [دواردو-. هيًا، يا أمّاه. الدوقة-. (جانبياً.) كيف سيكون ذلك! [دواردو-. ما أطيبك! (تخرج الدوقة وإدواردو من جهة اليمين.)

المشهد الرابع

أنحلًا ودُنَّ لورنِثو، الأخير من جهة اليسار.

لورنثو-. هاهي أمّي هناك تُحْتَضَر... وهناك فلذة روحي... ماذا أفعلُ، يا إلهي؟ (يتوجّه ببطء إلى الباب الأيمن، لكنّ أنخلِا تقطع عليه الطريق لحظة الدخول.)

أنخلا-. إلى أين تذهب، يا لورنثو؟

لورنثو-. لأرى ابنتي.

أنخلا-. مُحال... عادت إلى وعيها وحضورك يمكن أن يُسبّب لها ضرراً شديداً، على الأقل كالذي سبّبته لها كلماتك.

لورنثو-. المسألة أنّني أريد رؤيتها.

أنخِـلا-. المسـالة أنّ عليك ألا تراها؛ وبما أنّ الواجب عندك يفرض نفسه دائماً، ليس بإرادتي، التي ليست شيئاً أمام إرادتك، فبإرادتك الرزينة ذاتها (ساخرة،) ستحترم بكاء المسكينة إنسُ المنزوية.

لورنثو-. انتِ على حقّ. (وقفة، يأتي الاثنان من وسط الخشبة.) فلذة كبدي، ماذا تقول عنّي؟

أنخلا-. لا شيء.

لورنثو-. ألا تتهمني؟

أنحلا-. لا أدري ما يهمس به الألمُ في أعماقها.

لورنثو-. أأكون أنا جلاّدها أنا أخرب كلّ آمالها أنّا أُحطّمُ قلبَها المخلّمُ اللها أنّا أُحطّمُ قلبَها المخلّد المخلّف أنخُلا - . تعي تماماً عملك، يا لورنثو . سيكون من حسن حظّنا إذا ما أفادك الندم في إصلاح ما خرّيت.

لورنثو-. يا لي من شقيًا!

أنخلا-. (بسخرية) أنت، شقيّا الشقيّة هي، ولست أنت الذي بتأمّل كمالك الأخلاقي وفضائلك العليا ستجد بالتأكيد متعاً أكيدةً وعزاءً إلهياً.

الورنثو-، ما أسوأ حكمك عليٌّ وما أسوأ فهمك لي ا

أنخِلا-، (بسخرية لاذعة،) أسيء الحكم عليك، وأعجب بتواضع بثمار قداستك! لا أفهمك! في هذا أنت على حقّ، فمن هم مثلك من الرفعة ليسوا بمتناول أصحاب الذكاء البائس مثل ذكائي.

لورنثو-. كلماتك تخزني، يا أنخِلا، في قلبي مثل الخناجر الحادّة. أنخِلا-. في قلبك أمتحال المحادّة المخلفة عنها المتعلقة ا

لورنشو-. ماذا تريدين مني أن أضعل؟ تكلّمي، انصحيني، فرّري، أنيري روحي، التي تتخبّط في الظلمات.

أنخلا-، ماذا أردتك أن تفعل؟ ما أريده الآن، أن تنقذ حياة ابنتك. ألا تضع عوائق أكثر أمام عرسها، ألا تثير كبرياء الدوقة بإيحاءت وحشية وغير مجدية، ألا تجعل محالاً إصلاح الضرر الذي تسبُّبتَ به بفضائحك الجديدة.

لورنثو-. بوضوح، تريدينني أن أخرس،

انخلا-. بلى، أن تخرس.

لورنثو-، لكن سيكون هذا مشيناً.

أنخلا- لا أدري، أنا أشعرُ، لا أجادٍل.

لورنثو-. المسألة أن كياني كلّه يثور أمام هذه الفكرة. أنا شريك في أبشع الجرائم، لأنها الأكثر جبناً! أنا أتمتّع بثروات مغتصبة وأسماء مستعارة وسعادة ليست لنا، لأنّ الله لم يبغ أن تكون لنا في في هيو لا يريد ويجب ألاّ تكون لنا! إنسنّ، وأنت وأنا متورّطون في الوحل! هل هذا ما تنصحينني به؟ (مثاراً جدّاً.) إذن الفضيلة كذبة؛ إذن أنتما، الكائنان اللذان هما أكثر من أحببتُ في العالم لأنّني رأيتُ فيكما شيئاً مقدّساً، أنانيتان بائستان، تمقتان التضحية، أسيرتا الجشع، دميتا العواطف، إذن أنتما تراب، لستما غير تراب! إذن إذا كنتما تراباً فتحلّلا إلى غبار ولتجرفنا ريح العاصفة حميعاً! (بأقصى درجات العنف.)

أنخلا-. لورنثوا

لورنشو-. الكَائناتُ التي بلا ضمير ولا مشيئة ذرّات تَتَّحِدُ اليوم لتنفصل غداً لهذا هو سبيل المادّة فدعوها تمضي لـ

أنخلا . أنت تهذي، يا لورنثوا أنا لا أفهمك لا أعرف ما تريدا لورنثو . احترام العدالة والحقيقة.

أنخُلا-. الحقيقة؟

لورنثو-. بلى.

أنخِلا-. وتقول هذا بصوت عال للعالم كله؟

لورنشو-، سأقوله،

أنخلا-. وتتركنا في البؤس؟

لورنثو-. سأكسب قوتكما وقوتي بعملي.

أنخُلا-. تكسبُ أنت؟ غرور عالم! لكن ليكن. اسمعٌ، يا لورنثو! إذا لم تكن هذه الثروات لك فأعدها في ساعة مباركة. (يصرخُ لورنثو صرخة فرح ويقترب من أنخلا مفتوح الذراعين.) لا الحرمان يخيفني ولا أنا بالبائسة والأنانية التي رسمتها منذ قليل.

اورنثو-، أنخِلا، عزيزتي أنخِلا، اغفري لي.

أنخُلا-. هل تريدُني أن أغفر لك؟ هل تريدني أن أبقى أبارك كما باركتُ دائماً الساعةَ التي أصبحتُ فيها زوجتك؟

لورنثو-، بلي.

أنخلا-. حسنٌ إذن، نفَّذ ما تراه كرجل شريف، لكن بصمت وحكمة ودون ضجة ولا تبجّع ولا فضيحة.

لورنشو-، ولماذا، إذا كانت الدوقة لا تُريدُ حتى بهذا الشكل أن يصبح إدواردو زوج ابنتي.

أنخلا-. إدواردو يستجيب لموافقة أمه.

لورنثو-. ولن تدعن.

انخُلا-، ستذعنِّ، إنَّها أمُّ، أمّ. لا يدرك الجميع كمالك.

لورنثو-. لا أظنُّ،

أنخلا-. لا تظنّ أم أنّك تخاف؟

لورنثو-. لنفترض أنها أذعنت، كيف سأحتفظ باسم ليس لي؟ أنخُلا-. ذكاء بائس هذا الذي تضحّي بحياة إنس لأجله.

لورنثو-. الاسم في الحياة الاجتماعية، يا انخِلا...

أنخُلا-. الاسم صوت، هواء يهتزّ، شيء يمرّ؛ غرور إنساني والابنة كائن مصوغ من لحمنا ومن دم عروقنا، كائن حين ينبثق من العدم نأخذه في أحضاننا وحين يأتي إلى العالم نأخذه بين أذرعنا، يمنحنا الابتسامة الأولى والقبلة الأولى والبكاء الأول، يعيش من حياتنا وهو متعتنا الأنقى وألمنا الأكثر حدّة في آن معاً، كائن نحبّه أكثر ممّا نحبّ أنفسنا، لكن دون خميرة الأنانية التي تقبّحُ كلَّ ما تبقى من حبّنا، الحبّ المقدس الوحيد الموجود على الأرض وسيوجد، إذا كانت السماء سماءً، هناك خلف الزرقة وفي الله نفسه أيضاً. اختر الآن المية العاق ابين ما تسميه اسماً وبين ما أسميه أنا ابنة.

لورنثو-. كلماتُكِ تُجَنَّنُني، يا أنخِلا.

أنخُرلا-. جُننت لتعذيب إنسِن، فهل كثير عليك أن تُجنّ من أجل سعادتها؟

لورنثو-. أنخلا...، أنخلا...، في قسم...، نعم...، معك حقّ... فأنا معتوه بائس...، ربّما كنتُ مبالغاً في شكوكي. ابنتي، عنزيزتي إنسِنْ، غاية في الطيبة وغاية في الجمال! وسأموت... بلي ... سأموت!

أنخِلا-. أخيراً ليا لورنثو، يا عزيزي الطيّب لورنثو

لورنثو-. لكن انتظري...، لا...، أفكاري تختلط...، إعصار من نار يدور في جمجمتي لا ومع ذلك أفهم أنّه لا يكفي التنازل عن الأملاك التي عندي، فمن الضروري أن أقول لماذا أنتازل عنها.

أنخِلا-. لورنثوا

لورنثو-. (دون أن يسمعها وكأنه يُكلِّمُ نفسة) بطريقة أخرى، أعيد مادياً أملاكاً مادية، هذا صحيح، لكن دون الاعتراف بالحق الشرعي للأشخاص الذين نهبتهم، أعيد ما يجب أن أعيده بكامله، إذن، بغدر وجبن، في ظلِّ قانون آخر منيف وباطل سننته لراحتى وراحة وصالح أسرتى، بفنون شريرة.

أنخِلا-. كم من الكلمات الرنانة، يا لورنثو!

لورنشو-. (دون أن يوليها انتباهاً.) حين أحتفظ باسم ليس لي، فهذا يعني أنني لص بائس، من الضروري قول ذلك، مهما أحرقت الكلمة شفتيّ. أسرق اسماً وحقّاً، أحرم ضحاياي من أقوى وسائلهم، من دفاعهم عن أنفسهم، من طمع يمكن أن تستيقظ في أيّ وقت عند أسلافي وأفسح الفرصة في المستقبل لمظالم جديدة. أرأيت؟... أرأيت، أيّتها المرأة العمياء؟ يجبُ قول الحقيقة، بصوت عال وليحدث ما يحدث.

أنخِلا-. لورنثوا

لورنثو-. القاضي، المحكمة بحكمها هل ستنتزع منّي أملاكي فقط أمرنثو-. الماضي، المحكمة بحكمها هل ستنتزع منّي أملاكي واسمي معاً؟ كلّ شيء، كلّ شيء، اليس صحيحاً؟

يفعله قاض عليّ أن أفعله أنا، أن أكون قاضي نفسي أو أنّي ساكون بائساً. هذا هو، أيتها الشقية، هذا هو ما يصرخُ به ضميري. لا، لا أريد أن أكون نصفَ شريف لأنّ كلّ ما لن أكون فيه شريفاً بالكامل سيشكلُ ضدي عاراً بالكامل. هه! هذه الأشياء واضحة جدّاً، ولا يوجد ما هو أوضح من الواجب.

أنخلا-. إذا كان الأمر جهراً فلن تقبل الدوقة.

لورنثو-. لن تقبل، هذا ما قلته.

أنخ لا -. آه، يا لورنشو، يا لورنشوا أنت كلّ شيء: فيلسوف، عالم أخلاق، قانوني ومن المفروغ منه أنّك طيّب! كلّ شيء، كلّ شيء...، آلة تفكير بائسة، كلّ شيء، إلاّ الأب.

لورنثو-. تريدين أن تذهبي بعقلي وستحقّقين ذلك.

أنخلا-. ما عاد ذلك ممكناً.

لورنثو-. أنا مجنون.

أنخُـلا-. أنت كذلك وخذ بعين الاعتبار أنّك لم تصل إلى قاع الهاوية. اسمعني، فأنا أفهم قليلاً في موضوع المنطق: أنا في النهاية امرأة. هل ستقولُ الحقيقة، كلّ الحقيقة؟

لورنثو-. كلّها.

أنخلا-. للعدالة البشرية؟

لورنشو-. يبدو لي من غير المجدي قولها للعدالة الإلهية، التي تُحاكمنا نحن الاثنين الآن.

أنخلا-. افهمني، يا لورنثو. أعني هل ستُكرِّرُ كلَّ ما حكيتَهُ لي منذُ

قليل للقاضي، للكاتب بالعدل، ما أدراني الوللذين عليهم أن يأخذوا كلَّ هذه الخيرات التي تتخلَّى عنها ليسلموها إلى أصحابها.

لورنثو-، بلى إلى هؤلاء،

أنخلا-. وهل ستحكي كلّ هذه القصّة؟

لورنثو-، سيكون ضروريّاً.

أنخلا-. إذن، اسمعني جيّداً. سيكون عليك أن تقول إنّ هذه المرأة، مرضعتك خوانا، هي أمّك.

لورنثو-، وبهذه الطريقة سأغسل العار الذي ألقى عليها بحكمه الظالم ، سيكفي هذا وحده كي يصبح الصمتُ الذي نصحتنى به جريمة.

أنخلا-. ويكفي هذا كي يكون الصمت واجباً. ألا ترى أيّها الشقيّ، أنّه إذا كانت خوانا بريئة من الجريمة التي اتهمت بها، فإنّها متهمة بجريمة أكبر؟ اسمها انتحال حالة مدنية. تعرف هذا جيّداً. تزوير الأسرة وهذا يعني الهزء بها وتدميرها، انتزاع ثروة هائلة من أصحابها الشرعيين، والذي يعني أكثر من التقاط قلادة عن الأرض. التغطية على ولادة غير شرعية باسم شريف؛ وهذا يعني لف عفن الرذيلة بغطاء من فرو القاقم. إذا كانت خوانا أمّك فكل هذا من صنعها واستمرّت في شرّها أربعين عاماً.

لورنثو-. (منفصيلاً عن أنخيلا وضاغطاً رأسه بين يديه.) اسكتي، اسكتي، اسكتي، بالله عليك ا

أنخلا-. هذا ما أطلبه منك: اسكتْ ا لورنَثو-. إنّها إُمّي

أنخُرا . وماذا يهم ؟ من يُضحي بابنته فلماذا عليه أن يحترم أمّه المرتكبة ؟ أليست القوانين الإلهية فوق القوانين الإنسانية ؟ أليست العدالة والواجب والحقيقة هي الأولى ؟ ألا يجب أن تتغلّب قوانين الروح على ضعف اللحم ؟

لورنثو-. (هارباً من أنخِلا.) معك حقّ، ومع ذلك فأنت تهذين.

أنغُلا-. ولماذا؟ تتصوّر أنّك تتحوّل إلى سوقي وضعيف مثل هذه الأم المسكينة. ألا يتطلّب الواجبُ منك أن تترك ابنتك تموت؟ فلتمتُ؟ ألا يتطلّب أن تُجرجر أنت نفسك خوانا المُحتَضرة إلى الزنزانة؟ فلتذهب العجوز الى الجحيم! ها أنتَ ترى أننى أنا أيضاً أملك منطقى.

لورنثو-. منطق الجعيم!

أنخُرلا-. من أيّ كوكب علويّ هبط منطقك؟

لورنثو-. (هارياً من انخلا) اتركيني...، اتركيني...، لا أستطيع أكثرا إنس روحي، أمّاه المله أسات إليك، يا أنخلا، كي تُعدّبيني بهذا الشكل (يهضي ليسقط واهناً في المكان الذي يلي الطاولة مباشرة) آخ، يا رأسي، رأسي يضطرم المناه

أنخلا- . (بعذوبة .) لورنثوا ...، لورنثوا ...

لورنثو-. بلى، أنت على حقّ...، بلى؛ فأنا معتوه بائس. ما أدراني ما يجب أن أفعل! كلّ شيء ظلمة! ما الحقيقة؟ ما الكذب؟ أنخِلا-. (جانبياً.) كنت قاسية جدّاً، لكنّني أنقذتُ ابنتي: لن

يتكلَّم. (دُن لورنِثو جالس، أو بالأحرى محطَّم في الكرسي الكرسي الكبير: يداه علَى الطاولة ويُخفي فيهما وجهه. تقترب أنخلا منه بحنان وتكلَّمه بعذوبة.) لورنثو، اعذرني ا

لورنثو-، اذهبي، بالله عليك اذهبي،

أنخُلا-. أردتُ أن أريك الجحيم الذي تسقطُ فيه، أن أنقذ إنس، أن أنقذك من هيجانك ذاته.

لورنثو-، بلى، يا أنخِلا، بلى، فهمتُ...، لكن اتركيني.

انخلا-. هل تغفر لي؟

لورنتو-، أغفر لك وأُحبُّكِ، أنتِ أيضاً تُعانين، لكنتني أرغب بالمكوث وحيداً!

أنخلا-. إذن، حسن، سأذهب. لكن لا تهن. سنبحث فيما بعد عن طريق للخلاص. ساقول لإنس إنّك تريد أن تراها. ألا ترغب بضمّها إلى صدرك؟

لورنثو-. (بنبرة إذعان.) إذا كانت تريد...

أنخًلا-، انتظرني هنا، سأعود لأناديك، وسترى كيف أنّنا هناك مجتمعون جميعاً حول ابنتنا المسكينة، تدفعنا الرغبة ذاتها، تجمعنا إرادتنا، سوف ترى أنت كيف سنقهر الشؤم الذي يحاصرنا.

لورِنْتو-، سنقهره...، بلى...، سنقهره... (مردِّداً ما يسمع دون أن يدري ما يقول.)

أنخلا-. وداعاً ...، ولا تحنق عليّ.

لورنثو-، أحنق اعليك ا أنخُلا-، وداعاً.

المشهد الخامس

دون لورنثو جالس إلى الطاولة بمظهر إنهاك عميق. تضطرم المدخنة بنور ضارب للحمرة وتبدو الغرفة ملفوفة بظلال كشيرة تتكثّف بشكل خيالي على الستائر.

وقفة طويلة

لورنشو-. ثمّ إنّني وحيد. كم من الظلال في كلّ مكان! ما أقلّ ما يلمع النور! هذا أفضل. فلّتنّم الظلمات: عليّ بالظلمة! ففيها يبدو لنا ضميرنا أكثر إنارة. أريد الخير، لكنّني لا أعرف أين هو. إرادتي صلبة، لكنّ عقلي مشوّش. ثلاثة أسماء تبرق أمام عينيّ في هذا الليل الذي أرتجف فيه: أنخلا وخوانا وإنسن! قدري يقودني إلى جلجلتي، فأصعد دون شكوى إلى صليب آلامي. لكن أنتن، لكن أنت، يا عزيزتي إنسن، لماذا عليكن أن تتقدّمنني لترسمن بدموعكن الطريق التي ستدمي قدميّ؟ أنا وحدي... ليكن ذلك، لكن أنتن لا. آو، يا إلهي نور ضميري ينطفئ وإرادتي تهون واليأس يتمكن من روحي. أتوق إلى الخير وأبحث عنه فيك. يا ربّ، تعال إليّ، أناديك! أيّها النمن الذي أنت أنتا المسمت أيّها النمن الذي أنت أيها الصمت أليها الذي لا يظاله صوتي! قولي له إنني لا أريد لابنتي أن تموت وليبعد الذي لا يطاله صوتي! قولي له إنني لا أريد لابنتي أن تموت وليبعد

عنها كأس العلقم ولأستنفد كلّ شيء بين شفتيّ كلّ شيء لي لا وليس لها الما أجملها وأطيبها وأنقاها الهي لا الهي الا الهي الالهي الترك رأسته يسقط على الطاولة ويبكي بمرارة. وقفة .)

المشهد السادس

دُن لورنِثو وخوانا التي تظهر في الباب الأيسر وتتوقّف فيه.

لورنثو-، خرق من ظلال مرّت أمام عينيّ، (وقفة،) هل هذا كلّه حلم؟ لا؛ فـخـبُوانا هناك في الداخل، والبـرهان...، البرهان... -(يفتح مكتب المذاكرة ويخرج ورقة،) البرهان على ذلك هي هذه، ليس حلماً للأسف، إنّه الواقع الرهيب الذي لا يرحم، قرأتُها مئة مرّة ولا أشبع من قراءتها، "أحببتُك كابن على الرغم من أنّك لم تكن ابننا..." على الرغم من أنّك لم تكن ابننا

خوانا-، (جانبياً وهي تراقبه،) إنه يقرأ ...، يقرأ رسالة من ظنها أمّه، أمّه أنا، ليس غيري أنا، (تتقدّم، وإن كان بجهد، بعض الخطوات،) كم من الحزن في جبينه! هل من دموع في عينيه؟ في عينيه؟ لا أدري، ربّما في عيني اللتين تنظران إليه، هي عنده أو عندي، فأنا أرى دموعاً في مكان ما. (تخطو بعض الخطوات،) هل يبكي؟ لماذا؟ ألأنّني أمّه؟ هل

سيشعر بأنني أمّه. لكن ماذا يهمّه إذا كان لا أحد غيري يعرف السرَّ وأنا سأموت؟ بلى سأموت...، سأموت قريباً. فليل الأبدية البارد ينفذ إلى أعمق أعماق كينونتي، شيء في غاية السواد في داخلي. (تخطو خطوة أخرى، تترنّع وتستند إلى الطاولة كيلا تسقط. يلتفتُ دُنَ لورنثو إليها.)

لورنثو-، خوانا!

خوانا-. دائماً هذا الاسما

لورنثو-، أمَّاه!

خوانا-. يزعجك أن أكون أمّك: أعرف هذا جيّداً.

لورنثو-، أهكذا تظنيننيا

خوانا-. إذا لم تنزعج فستخجل من أن أكون أمّك.

الورنتو-، أخجل أنا؟ غداً سيعرف الجميع أنّني ابنك،

خوانا-. (بذعر.) غداً لماذا تحاول ؟ متأخر صار سمعي وربّما لم أفهم ما قلته ل

لورنشو-. أساتُ القول. غداً لا؛ من الأفضل أن تخرجي أوّلاً من إسبانيا وحين تصبحين في مكان آمن ، لأنّ عدالة البشر قاسية جدّاً أحياناً، سأنزع عني أسماً ليس لي، وسأعيد ثروات مغتصبة. هذا شيء منته.

خوانا-. يا يسوع حياتيا

لورنثو-. وسندهب بعد ذلك أنا وأنخِلا والمسكينة إنس في طلبك.

خوانا-. أنت في الفاقة، أنت في العار، أنت دون أيّ اسم آخر غير الاسم المُضحك والملطّخ؟ لكن لماذا؟ لماذا؟ وما الذي يجبرك

على ذلك؟ تكلّم، يا بُني، فأنت تذهب بعقلي. من؟

لورنثو-. ضميري وخطيئتك، يا أمّي.

خوانا-. لكن هل تفكّر بقول الحقيقة؟

لورنثو-. لماذا قلتها لي؟ (غاضباً.) ما كنتُ لأعرف...، ولا لأسبّب الموت لابنتي.

خوانا - . لماذا؟ وتسائلني؟ ولا تفهمه؟ يا لك من جحود! (تُخفي وجهها بين يديها وتبكي بمرارة.)

لورنثو-. أمّاه!

خوانا - . لأنني ساموت ... لأنني ساموت، ويجب أن تعرف قبل ذلك ما فعلته هذه المرأة المسكينة من أجل سعادتك . ثُمّ إنّني أردت ولمرّة واحدة أن تناديني بأمّي . لهذا السبب وليس لسبب آخر . لأنّه كان هناك شيء يصعد من قلبي إلى حنجرتي، يخنقني، ولم أستطع في النهاية امتلاك نفسي واضطررت لقوله لك، أنت ابني لا

لورنثو-. أفهمك، يا أمّاه، ولا أتهمك.

خوانا -. لكنّك لا تفكّر بعمل ما قلت، أليس كذلك؟ وإلا لكان عاراً على أسرتك ووحشية على هذه العجوز المسكينة!

لورنثو-. وحشية بلى، لكن عار لا، فبهذه الوحشية أمحو عاراً آخر. خواًنا-. لورنثوا

لورنثو-، اغفري لي!

خوانا-. تقول إنني ارتكبتُ عاراً؟

لورنثو-. لا أقولُ شيئاً.

خوانا - . لكن ذلك كان من أجلك ... من أجلك ... من أجلك ، يا بُني (بصوت هو في كلّ مرّة أكثر اختناقاً . يبقى دُن لورنثو صامتاً ، جهماً ودون أن يلتفت إلى أمّه .) لقد كان لأجله ، يا إلهي ، ويكافئني بهذا الشكل الورنثو ا

لورنثو-. لا يمكن للشر أن يستمر وعمل الجور ينهار تحت ثقله نفسه: تضحيتي سوف تمحو خطيئتك.

خوانا-. لورنثوا

لورنثو-. (يقترب من النور يضع الرسالة في يدها ويجبرها على القراءة.) ماذا تقول هناك؟

خوانا-. (تجلس وتقرأ بجهد) "اغفر لي وليلهمك الله الصبر!." لورنشو-. ، طيّب، يا أمّاه، لقد غفرت لها وطلبت إلهام السماء: توسلاتك غير مجدية.

المشهد السابع

المذكوران وأنخلا من جهة اليمين.

أنخِلا-. (من الباب الأيمن ذاته ودون أن تدخل إلى الغرفة.) يا لورنثو، إنِسْ تُناديك إ

خوانا-. (وهي توقفه ثمّ بصوت خافت.) أعرف أنَّك تحتقرني،

أعرف أنّك تكرهني...

لورنشو-. أمَّاه!

خوانا -. (ناهضة،) لكن ليس من أجلي، بل من أجلها، من أجل هذه الطفلة!

لورنثو-. (بقنوط.) ولا حتى من أجلها ا

خوانا -. آه! (تسقط على الكرسي الكبير وتُغطّي وجهها بيديها. يخرجُ دُن لورنثو وأنخلا.)

المشهد الثامن

تبقى خوانا والورقة في يدها.

خوانا- ولا حتى من أجلها! (تَجهشُ) ضحّي، يا خوانا! من أجل ولدك، تنازلي عن مداعباته، اغرزي أظافرك في صدرك حين ترينه يقبّل امرأة أخرى ويناديها أمي، اشريي في داخلك دموع المرارة واجمعيها في قلبك إلى أن يطفح بها أو ينفجر، تلقي على جبينك علامة العار؛ استنفدي نفسك بالبؤس والألم في علية عشرين سنة دون أيّة سعادة أو عزاء غير رؤيته يمرّ في عريته من بعيد! آه، يا إلهي، إنّني أموت! (وقفة، ثم تنتعش قليلاً) أكثر... وأكثر ... أنت، يا خوانا المسكينة، تعانين كلّ ما قلته ومع ذلك اجعليه غنياً، عالماً، شهيراً، طيّباً و ... في ساعة الموت تقدّمي منه واطلبي منه مجرّد قبلة، متطلّعة كي يقول لك: " ما أطيبك، كم أحبَبتني ا..."

وهو لن يقول لك أيُّ شيء من هذا: سينظرُ إليك صارماً وحزيناً سيقول لك إنَّك ارتكبت عاراً وإنَّه من الضروري أن يمحو خطيئتك.... إنّ عملك...، ظلم ا... آه، يا لورنثو، يا ولدي الماذا أنت قاس إلى هذا الحدِّ؟ لماذا تلقي بازدراء كلِّ ما منحته لك على حساب سعادتي؟ انظر كم يكلّف من دموع! (تبدل نبرتها وتنهض باندفاع قانط وتأتي نحو اليمين.) وتضحيتي كانت سداً هل خسرتُ سعادتي وخسرته أيضاً اللهاء، أنانية الماذا قلت له الحقيقة؟ (وقفة.) يجب ألا يحدث، يجب ألاّ يحدث! سانَّكرٌ كلَّ شيء. عمل الظلم ما زال لا يهدد بالخراب، ياله من مدّعي رؤيا مسكين اسانكره (بصوت منطفئ.) سيكون سعيداً وغنيّاً وقويّاً على الرغم منكِ. هو وضع بين يديّ البرهان الوحيد، (مادّة يدها إلى الطاولة حيث الورقة.) حسن، حسن، سيُّنقَذُ بالعمل بين أمِّه وابنته: مصادفة غريبة! هي، بدعوتها له ستجبره على الابتعاد وأبقى أنا... هياً. لنستنفد ما تبقى عندي من قوّة، الآن أقترب شيئاً فشيئاً وبين الظلال.. هكذا كانت ظلمة تلك الليلة التي جاء فيها سيّدي يبحثُ عنّي في فراشي وهمس في أذني: "أريدُ لابنك أن يكون غنيًّا وسعيداً" وأنا تردّدتُ... ثمّ قلتُ نعم... والآن... والآن أقول نعم (تصل إلى الطاولة، وقفة،) هل يعود لورنثو (مصغيةً) نعم، يبدو لي أنّه يعود السيطلبُ مني الرسالة كما طلبها من قبل ا هيّا ... إلى النار ... (تريدُ أن تسير، لكنّها لا تستطيع .) أسمع صوته... تخونني قواي... ليس عندي وقت ا... سيأتي الا ... الن أعطيها له، إنها مرّة أخرى رهن إرادتي... آها أعرف... أعرفُ...

سأضعُ في الظرفِ ورقة بيضاء كيلا يلاحظ شيئاً... (وهي تنفّذ العملية التي أشارت إليها توًّا.) يسميها لورنثو ظلماً لا مسكين ابني، البريء أحياناً مثل طفل! هكذا...، هكذا...، أتركه حيث كان وهذه إلى النار. (تلقى بالورقة إلى النار وتنحني لتراها تشتعل.) صارت لهبأً اوهجها يضيء وجه سيدتي القديمة. (وهي ترى صورة على الجدار.) انظري، انظري، صارت رماداً وكانت البرهان الوحيد. الوحيد؟ لا: هناك آخر، ما زلتُ موجودة، لكن سرعان ما سأصير رفاةً أيضاً. (وقفة.) سأذهب إلى غرفتي. (تخطو عدّة خطوات.) يا إلهي، تنقصني القوّة (تقوم بجهد وتتقدّم عدّة خطوات أخرى٠) لكنّني أنقدته...؛ سيكون غنيّاً...، سعيداً... لا أرى...، لا أرى... هذا النور ينطفئ ... ينطفئ هو أم عيناي؟ (تقترب من الطاولة، تأخذ الشمعة وتحاول أن ترحل من جديد،) نورا... نورا... أين غرفتي؟ ظلال!... كلّ شيء ظلال! يا ويلتي! يا إلهي!... لا أستطيع ... لا أستطيع! (تترك الشمعة تسقط، تبقى الغرفة لا يضيئها غير انعكاس وهج المدخنة الضارب إلى الحمرة. وتسقط هي أيضاً بين المدخنة والطاولة.)

المشهد التاسع

خوانا، دُن لورنشو، إنس، أنخلا والدوقة الأربعة الأحيرون إلى اليمين. يدخل دون لورنثو وكأنه يهرب من ابنته، تتوقّف هي في الباب، تأتي مرتدية الأبيض وخلقها أنخلا والدوقة شبه مختفيتين بين الستائر ،)

لورنثو-. (يأتي إلى وسط الخشبة.) لا أكثرا لا أكثرا أنه البرهان الأخير، نعم الأخير لكن، آه، إرادتي تتردد.

أنخلا-. (جانبياً إلى إنسِنَ.) الحقي به، لا تتركيه: سيذعن.

إنسنّ-. لماذا تهرب منّي، يا أبت؟ (وهي تتقدّم عدّة خطوات، قليلة جدّاً وخلفها أنخيلا والدوقة، من الضروري إضفاء جوّ الخيال على هذا المشهد الموجود فيه أصلاً، كي ينطبق التأثير على فكرة المسرحية، دُن لورنثو في وسط مقدّمة الخشبة مظهراً بموقفه وحركاته الّتي تؤكّد آخر صراع يأسُ له مع نفسه، تقترب إنس جميلة وشاعرية ببطء من أبيها، وتتبعها دائماً أنخلا والدوقة اللتان ترتديان السواد موحيتان لها بكلّ ما تقوله، خوانا تُحتَضَر. تلفّ المكتب ظلال كبيرة، انعكاس المدخنة ينير إنس كاملة.)

لورنثو-. هوذا الإغواء هناك الكن ما أجملها اللهالة الإلهية التي تحيط بها. النور الوحيد بين كلّ هذا الظلام ا

أنخلا-. (جانبياً إلى ابنتها.) هل ترينه؟ ما عاد يستطيع المقاومة...

- ارجيه... ارجيه، يا عزيزتي إنِسُ! انسُ-. (تتقدَّم.) تعالَ إلى ذراعيًّا
- لورنثو-. (متراجعاً. وجانبياً.) يا ويلتي إذا ما لفّتهما على عنقي كأنشوطة غاية في النعومة!
- خوانا-. (جانبياً وبصوت مطفاً) أنشوطة حول العنق... معه حقّ...
- إنس -. بالله عليك يا أبي، بحبّك لي، بحقّ دم وع هاتين العينين اللتين طالما أحببتهما وقبّلتهما حين كنتُ طفلة! (ترفع يديها إلى خديها ثم تسحبهما وتقدمهما لأبيها كي يقبلهما). انظر، انظر كيف تنفصل عن أهدابي، أخذتها أصابعي حين سقطت، قبّلهما وستشعر بمرارتها في شفتيك.
- لورنثو-. بلى، سأقبلهما... سأقبلهما...، لكن آه لو سقطت واحدة من دموعى في دموعك ا
- خوانا -. تسقط؟ هل قال تسقط؟ أنا أيضاً أسقط في هاوية لا قاع لها لكنّني أريد قبل ذلك، أن أعانق ابني!
 - إنسِن -. أبي (يتراجع دُن لورنِثو، تتبعه إنسِن وأنخِلا والدوقة،) أنخلا-. لورنثوا
- خوانا-. (مُتقدّمة.) قالوا لورنشو... هناك...، هنالك...، أرى شيئاً...
- لورنشو-. لا ... لا ... أقول ألف مرّة لا ... تريدون أن تجعلونني سافلاً!
- إنسن-. وأنت يا أبي، من كان سيظن ذلك! تريد موتي! وإلا فلماذا

تعارض هذا الحبّ الذي هو حياتي؟

لورنثو-. أنا، يا إنس حياتي ا...، لا ...، الدوقة ... الدوقة.

أنخلا-. ليس صحيحاً، الدوقة أذعنت.

لورنثو-، مقابل الشرف،

الدوقة-. ليس صحيحاً، يا إنسّ، بل مقابل الصمت.

إنِسٌ-. ألا تسمع، يا أبي؟

لورنثو.. (منفصلاً عنهنّ، ورافضاً لهنّ ومتراجعاً.) فقط أسمع أصواتاً تطالبني بالضمير السنفط أرى أشباحاً تلاحقني السنفي الفضاء، مسوخ الإغواء الركيني الركيني الركيني حيّاً بحق الله افإذا كنت قويّة في تعذيب قلبي،

فإنَّك ضعيفة، ضعيفة جدًّا كي تستطيعي ليّ إرادتي ا

خوانا-. (وهي تصل إليه وتعانقه،) صوته الورنثوا... لورنثوا... لورنثوا... لورنثوا... لورنثوا... لورنثوا... لورنثوا... لورنثوا... الماما

إِسِّنَ-. (لائدة بانخلا.) ما هذا الصوت؟ من تكون هذه المراة؟ أيّ شبح ينبثق من الظلام ويلف أبى بذراعيه؟ أنا خائفة!

لورنثو-. خوانا ١٠٠٠ أمّاه ١

إنس-. أمّه الماذا يناديها أمّي؟

لورنثو-. لأنها أمّي ولأنّ عليّ أن أقولها.

خوانا -. أنا أمّاك يا للمسيح ما هذه الفكرة لكم بودّي ... لو أكون ا

الدوقة-. هل سمعت، هل سمعت ما تقول؟

أنخلا-. تنكره!

لورنثو-. (بعنف.) بل أنت كذلك!

خوانا-. (بضحكة مكرهة.) آه، مسكين عزيزي لورنِثو! (على أذنه وهي تُعانقه.) يا فلذة روحي!

لورنثو-. بحياتك رددي بصوت عال ما همست لي به في أذني اخوانا-. أنا همست في أذنك؟... إذن ماذا قلت لك؟ إنّني أمّك، أيّة سعادة أكبر من هذه ا

لورنثو -. (بحنق.) آها... أوتنكرين؟

أنخِلا-. لورنثوا

لورنثو-. (بحنق أكبر.) أتتكرين أنّك أمّي؟

خوانا-، وكيف لأ1

لورنثو-. (بقنوط رهيب.) تنكّرت لي حين وُلِدتُ وتتنكّرين لي ساعة موتك!

خوانا-. (تعانقه فيشكلان كتلة متحدة تماماً، من المحال في الظلمة معرفة ما إذا كانا يتعانقان أم أنّ لورنثو يشدّها إليه بسبب حنقه،) يا ابن أحشائي! (بصوت مُحتَضَر في أذنه.)

لورنتو-. (صار هاذياً.) هذا... هذا!

خوانا-. أنا أموت!

لورنثو-. لا ... يا أمّي ا

الدوقة -، (تجري نحو الباب الأيمن،) يا يسوع ألفَ مرة هذا الدوقة -، النحدة الرجل سيقتلها (... النحدة ا

أنخِلا-. إدواردوا... توماس!

لورنثو-. أمّاه ١٠٠٠ أمّاه ١

خوانا-. لا ... يا إلهي ... هذا لا ا

المشهد العاشر

دون لورنشو، إنسِّ، أنخلا، الدوقة، دُن توماس وإدواردو. الأخيران إلى اليمين مع أنوار والجميع يهرعون ويحاولون أن يفصلوا دُن لورنِثو عن خوانا.

توماس-. هيا ا... هيّا ا...

لورنثو-. أماه! غفرانك! لن أناديك أماه إن كنتِ لا تريدين... أمّاه! خوانا-. و..داعاً...

لورنشو-. خوانا (تجهد خوانا جهداً رهيباً، تنهض وكأنها مجروحة في قلبها من اسم خوانا وتسقط.)

توماس-. ميتة ا

لورنثو-. لا...، غير ممكن! (يُعانق أمّه.) ناديتها أمّي كي أقتلها! وآخر صرخة سمعتها من شفتيَّ كانت خوانا! آه، يا إلهي! يا إلهي! لماذا تعاقبها بهذا الشكل ولماذا تتخلّى عني؟

ستار

الفصك الثالث

ديكور الفصلين السابقين ذاته

المشهد الأول

دُن توماس؛ ثمّ الخادم.

توماس-. كلّ شيء ساكن، لا يسمع لا حتى نحيب إنِسٌ ولا زمجرة غضب لورنثو، سكينة سابقة على عاصفة جديدة. (وقفة،) هناك لحظّات أرتاب فيها وأتردد. هو...، هو...، صديقي الطيّب، لورنثو العزيز... هذه الفكرة لا تتركني أرتاح. في النهاية سنعرف الحقيقة، لاحقاً جداً سنعرفها، خلال ذلك يجب التمتع بالبأس ولنقم تجاه هذه الأسرة المكروبة بالواجبات المقدّسة التي لا أحد يقوم بها برغبة أشد من رغبتي.

الخادم-. سيّد يرافقه اثنان... لا أدري ما إذا كان كذلك... لكنّ بزّته... على كلّ أعطاني هذا السيّد هذه البطاقة لك، وهم ينتظرون جميعاً في الخارج.

توماس-. (وهو ينظر إلى البطاقة.) آه، الدكتور بِرمودِثُ اليدخلُ، ليدخلُ!

الخادم-. والاثنان الآخران؟

توماس-. لينتظرا (يخرج الخادم.) كلّما اقتربت اللحظة زادت له فتي وشكوكي. مسكينة أنخلا يا لها من ضربة (اله مسكينة إنسٌ الفي أيّة حال من اضطراب الأعصاب هي، الفتاة البائسة الأيّ بريق في نظرتها اليّ وضوح في آرائها. لا أحد وضّح لها ما يجري... وأنا أعتقد أنّها تعرف كلّ شيء؛ وتتكهّن بما لا تعرف الا ، لا يمكن لهذه الحالة أن تستمر أكثر، لنواجه الواقع مهما كان حزيناً.

المشهد الثاني

دُن توماس والدكتور برمودث، ثمَّ ممرضان في مشفى المجاذيب، بلباس محتشم، لكن مظهرهما وسلوكهما لا يعكسان ما يبدوان عليه.

توماس-. (وهو يخرج للقائه ويمدّ له يدُّه.) دكتور! الدكتور-. دُن توماس!

توماس-، دقيق الموعد كمادتك.

الدكتور-. لا، فقد جئت مبكّراً قليلاً...؛ كي أُأمِّن على هذين بالشكل المناسب...

توماس-. نعم، نعم، فهمتُ.

الدكتور-. جعلتهما يأتيان بطريقة لا تسمح لدُن لورنِثو بالشك، لأنّ الأمر يتعلّق باحتياطات عامّة...

توماس-. نعم، نعم، حسن، من الضروري التحرّك بحكمة. نوبة هياج، نوبة هياج حقيقيّة، كما قلتُ لك، فقد أصابته مرّة واحدة، الليلة السابقة. يمكن أن أكون قد أخطأت.

الدكتور-. سيسرّني ذلك ...، وسيسرّك أنت أيضاً كثيراً.

توماس-. آه، يا صديقي، أنا في حالة لا أدري فيها ما يجري على كلِّ حال علمك وخبرتك ويصيرتك العميقة ستخرجنا من الشك.

الدكتور-. أنت تجاملني كثيراً ا فبوجودك...

توماس-، لا تأخذني بالحسبان، يا دكتور، فأنا لا أنفع، المسألة تتعلّق بأفضل أصدقائي، بأخي تقريباً. ثم إنه بدا لي دائماً... أنت تعرف مدرستي: فبين العقل والجنون لا يوجد خطّ فاصل،

الدكتور-، طبعاً، طبعاً؛ وجميع العلماء عندهم شيء من... توماس-. تماماً: هياج العقل يتجاوز بعض الحدود و...

الدكتور-. بالضبط، سنرى، سنرى ما يمكن أن نفعل من أجل دُن لورنتو، بطريقة يقوم بها هذان الشابان...

توماس-. سيكون من السهل اختراع أيّة قصيّة: شاهدان... أو يمكن أن يُقال له إنهما قادمان مع الكاتب بالعدل... أي شيء. ليس المسكين في حال يسمح له بالتوقّف عند هذه التفاصيل.

الدكتور-، وأين ينتظران؟

توماس-. (وهو يشير إلى الباب الأيسر.) هناك في الداخل.

الدكتور-. (وهو يطلّ على العمق.) هيه البراوليو (يدخل المرضان، منكمشين قليلاً ويظهران في حركاتهما الفظّة والمرتبكة طبيعتَهُما.)

توماس-. ادخلا إلى هذه الفرفة، وسنخبركما إذا دعت الحاجة إليكما، وابقيا خلال ذلك دون حراك. (يسلِّم المرضان ويدخلان من اليمين.) منذ أن ماتت خوانا لم يدخل لورنثو إلى هذه الغرفة، (إلى برِّمودثِّ،) إذا أغلقنا الباب... (يغلقه.)

الدكتور-. (وهو ينظر إلى الساعة،) سأعود حالاً، سأكون هنا قبل أن يأتى الكاتب. أنا ذاهب... إنّه قريب...

توماس-، زيارة؟

الدكتور-، حالة جنون جميلة. (تدخل أنخيلا من العمق وتتوقف حين ترى برمودث، إلى دُن توماس مشيراً بنظرته إلى انخلا.)

توماس-. نعم، الزوجة. لا تتكلّم معها.

الدكتور-. (إلى دُن توماس جانبياً.) إلى اللقاء، يا سيّدة... (يخرج من مؤخرة الخشبة وهو يحيى.)

المشهد الثالث

أنخِلا ودُن توماس. تلاحقُ أنخِلا برمودث بنظرتها، تنظر بعدها إلى الغرفة التي دخل إليها الممرضان.

أنخلا-. من هذا الذي خرج؟ ومن الرجلان اللذان جاءا معه؟ توماس-. اهدئي، يا أنخلا. كلّ شيء سيسوى. هذه إجراءات احتياطية، لكنّها ضروريّة، لأنّه، من يدري؟ قد تأخذ دُن لورنثو نوبة هياج جديدة كما في الليلة السابقة، ولأجلكما وأجله...

أنخِلا-، لا، يا توماس؛ لا تقُلّ هذا.

توماس-، ألا تذكرين، يا أنخِلا بأيّ احتدام شدّ إليه جسد المسكينة خوانا المحتضر؟ الآن ولا أحد يسمعنا، أنا أظنّ بثقة أنّه... كان... السبب الحاسم...

أنخلا-، توماس! توماس!

توماس-، على الأقل عجّل في موتها . ألم تري أنّه كان يتهم نفسه في هذيانه؟ لا نبتدع أوهاماً : كانت نوبة حقيقية من ...

أنخلا-. (باكية.) لورنثوا عزيزي لورنثوا

توماس-. والأزمة يمكن أن تعاوده، لأُنَّه اليوم...

أنخلا-. نعم، أعرف ما ترمي إليه... آه، يا توماس، ما أتعسنا الما أتعسك يا عزيزي لورنتوا

توماس-. ماذا يفعل الآن؟

انخلا-. هادئ جداً: يكتب، يمشي...، يريد أن يكون مع إنس ومعي وكأن الوحدة تُخيفه. منذ قليل نظر إلي بحزن، لكن بود، قبلني على جبيني وقال لي: "مسكينة أنت يا عزيزتي أنخلاا"

توماس-. لا تعارضيه.

أنخِلا-. لا ، يا سيّد، نحن نوافقه على كلّ شيء.

توماس-. وهل ما زال على عناده؟

أنخِلا-. آه، نعم، يا سيّدا يسأل من حين لآخر كم الساعة: يقلق لأنّ الكاتب لم يأت ويتمتم بصوت أصمّ: "شرّ يلقي بظلّه على العالم كلّه، على أن أقوم بواجبى،"

توماس-، أيّ رجل! أي مزاج!

أنخِلا-. يا توماس، بالله عليك لا تخدعني اهل تعتقد أنَّ لورنثو...؟ لا أستطيع، لا أستطيع أن ألفظ هذه الكلمة!

توماس-، أنا لا أعتقد شيئاً حتى الآن. سنرى، يا أنخلا، سنرى، يا صديقت الطيّبة، لقد جئت بالدكتور برمودث طبيب الأمراض العقلية الفريد، للخروج من هذا المأزق المرعب كلّباً.

أنخلا-، لكن هذا مُحال!... أقول محال!

توماس-، ليتك تكونين على حقّ، علينا ألاّ نفقد الأمل، لكن مُحال؟... آه، العقل الإنساني شيء ضيئل

أنخِلا-. (بقنوط.) آه، يا زوج روحي ا... لا، لا أريد. يجب ألا يكون ذلك.

توماس-. هيّا، عليك بالتعقّل والشجاعة، من أجل تلك الطفلة المسكينة، على الأقل من أجل إنس، ومن يدري حتى الآن. سنرى التوضيحات التي سيقدّمها لورنِثو، ما البراهين التي سيقدّمها.

أنخلا-. ما البرهان الذي على البائس أن يقدّمه، إذا كنتُ سمعتُ خوانا المُحتَضَرة نفسها تردِّدُ: "لا...، لا...، لستَ ولدي"؛ بينما هو محتدم، هاذ، يشدّها بين ذراعيه جاهداً أن ينتزع من ذلك الجسد الذي كان يُحتَضر، شبه ميت، اعترافاً، مستحيلاً يناديها "أمّي\" بصرخة الجنون المدوّية. لا تواسني، يا توماس: لا جدوى، أنا أعرف أن شفاءنا حتميّ.

أنخلا-. وما تلك الطريقة في استقبال الدوقة؟ هو، اللهذَّب دائماً، الرقيق دائماً...

توماس-. معكِ حقّ: في ذلك اليوم فهمتُ كلّ شيء؛ لكن لا أحد يستسلم حين يُباغته الشؤم.

أنخِلا-. ثم وهو يعبد ابنته بالطريقة التي يعبدها، من يفعل ما يفعله هو اليوم؟

توماس-. لا أحد، يا أنخِلا، لا أحد، ما لم يكن قد فقد عقله.

أنخلا-، وأنت هل قلت لبرَّمودِثّ...؟

توماس-. كلّ شيء، لا: لو فعلت لكان شيئاً خطيراً، لكن ما يكفي كي يعطينا رأيه.

انخلا-. وما هو؟

توماس-. عليّ ألاّ أخفي عنك...

انخلا-. غير مُجد، يا توماس، غير مُجدرٍ... فأنا أعرف جيداً أنه ما من علاجًا...

توماس-. باتباع نظام جيّد، بفصله عن أولئك الأشخاص، الذين ولأنّهم عزيزون عليه جدّاً يثيرون حساسيته المفرطة باستمرار...

أنخلا-، توماس ا

توماس-، في مكان ما في إسبانيا أو الخارج...

أنخيلا-. ماذا ...، ماذا ..، ماذا تريد أن تقول؟... فصله عنّا؟...

حــمله اهو...، هو...، لا، ولا بشكل من الأشكال! أنا زوجته! لا أرضى!

توماس-. وجود إنس يُثيرُ هذيانه.

أنخلا-. وغياب ابنته يعني موته.

توماس-. خنق بين ذراعيه تلك المرأة المسكينة.

أنخِلا-. لا، يا توماس، لا، ليس معك حقّ في هذا: لا خطر على إنس بين ذراعي لورنثو، إنها ابنته!

توماس-. وكان يفكّر أيضاً أنّ خوانا أمّه،

أنخلا-. لا يا توماس، لا يمكن. لماذا لا تبحث عن التخفيف من عذاباتي بدل أن تمرمرني؟

توماس-، أنخلاا

أنخلا- هذه حقيقة، يا صديقي العزيز، ليس من السهل إيجاد عزاء لألى!

توماس-. العزاء موجود في كلّ ألم بشري، مهما عظم. أنخلا-. إلا في هذا.

توماس-. في هذا أكثر منها جميعاً، وإلا فلنناقش بدم بارد. أنخلا-، وكيف إذا كان الدم يحرق عروقنا.

توماس-، اسمعيني، وماذا إذا كان ما يؤكّده لورنِثو حقيقة؛ إذا قدَّم البراهين الحاسمة...

أنخيلا-. عندئذ لا يكون لورنثو قد فقد عقله بل نحن عميان وطائشون. آه، يا للسعادة عندئذ!

توماس-، ليس إلى هذا الحد، لأنّ الفاقة والعار والموت سيكون بانتظاركم...

أنخِلا-. اسكت، يا توماس!

توماس-. وأقول الموت، إضافة إلى الفاقة، لأنّ أنخلا ستموت. بالمقابل إذا كانت فاجعة لورنثو صحيحة...

أنخِلا-. لا تتابع... لا أريدُ أن أفكُر بهذه الأشياء...

توماس-. فكري بإنس، واعلمي يا أنخلا، أن هذه الجراح رهيبة، نعم، وإن كان محزناً قول ذلك لكن يجب الاعتراف به؛ ليست قاتلة، فالقاتل بالنسبة للشباب هو تدمير المستقبل وليس ما يسقط في العدم مما حدث.

أنخلا-. بالله عليك، يا توماس ا...

توماس-، بفاجعة لورنثو تتعلَّق سعادة إنسَّ، علينا ألاَّ ننسى ذلك. أنخلا-، لتكن مشيئة الله، لكن لا توقظ عندي أفكاراً ترعبني أكثر مما تواسيني.

المشهد الرابع

المذكوران ودُن لورنثو من جهة اليمين.

لورنشو-. (جانبيّاً) لكن أين تركتُ المفتاح؟ يا لهذا الرأس!... والكاتب سيأتي باكراً جدّاً. وفي طاولة المذاكرة تلك تركت الرسالة، أتذكّرُ ذلك جيّداً؛ نعم...، منذ يومين...، عندما قامت أمّى...

توماس-، (دونَ أن يرى دُن لورنِ شو.) مسكينة أنخِلا رهيب البرهان!

لورنثو-. (بقلق وهو يبحث عن المفتاح على الطاولة.) كيف؟... ماذا يقولون؟ البرهان، بلى كانوا يتكلّمون عن البرهان!

أنخِلا-. رهيبٌ، رهيب السير بين هوّتين... لورنِثو في جانب... إنسٌ في آخر...، معك حقّ.

لورنثو-. (بغضب وصوت عال،) لقد أضعته ا

توماس- ، (وهو يعود ، جانبيّاً .) شقي ا أظنّ ذلك ا

أنخِلا-، لورنثوا

لورنثو-. (بنظرة حدرة وكأنّه لم يرهما.) آه، هل أنتما هنا؟...

أنخِلا- . (بعدوية .) عمَّ تبحث؟ ... نحن سنساعدك .

لورنثو-. أنتم؟... لا. لماذا؟ أنا وحدي ا

انخلا-. لكن قُلُ على الأقل ماذا أضعت!

لورنشو-. كلّ شيء؛ حتى حبّ أهلي، تصوري إن كان بمقدوري أن

أضيع أكثر من ذلك!

أنخلا-. لا، يا لورنثو، لا تصدّق.

لورنثو-. أخيراً...، المفتاح... شكراً للسماء (جانبياً وبعدم ثقة.)
ها قد دخل... هل قد دخل... (يفتح بلهفة الطاولة ويأخذ الطلحية التي تركتها خوانا.) آه، هاهي الله انزاح حمل عني الله القرأ.) " إلى لورنثو." هذه هي الورقة.

أنخلا-. (وهي تقترب.) هل وجدت ما كنت تبحث عنه؟

لورنثو-، نعم، (يقترب دون توماس أيضاً.)

أنخُلا-. ما هذه الورقة؟ (كان دُن لورنتو يتهيّأ لإخراج الورقة من الظرف لكنه يضعها في طاولة المذاكرة حين يرى أنخلل وتوماس يقتربان، يغلق بالمفتاح ويخبّئه).

لورنثو-، شيء مهم جدّاً. (بشيء من عدم الثقة وهو ينظر بحذر.) لماذا تريدان أن تعرفا؟

أنخلا-. لا تغضب، يا عزيزي لورنثو. اعذرني إذا كنت غير لبقة.

لورنشو- . أنا أعذر؟ أنا من يحتاج لعذركما . بسببي، بسبب خطيئتي ستصبحان شقيّتين!

أنخلا-، لا تقُلُ هذا لن نصبح كذلك ما دمتَ سعيداً.

لورنشو-. وأنا هل أستطيع أن أكون كذلك؟، ما لم تكوني أنت سعيدة، ما لم تكن إنس حياتي كذلك؟

انخِلا-. ستكون أيضاً.

لورنثو-. محال، إذ هل تدرين ما هو تفكيري؟ أنخِلا-. شرحته لي. ألا تذكر؟

لورنثو- . (إلى دُن توماس .) وأنت؟ توماس- . أيضاً .

لورنثو-. وتوافقان؟

أنخُلا-. (بعدوية.) كلُّ ما تقوم به أنت حسنُّ.

لورنثو-. (إلى دُن توماس.) وأنت ماذا تقول؟

توماس- . الشيء نفسه .

لورنثو-. الشيء نفسه (متفكّراً.) ياللقناعة (هل تعلمان أنّني طلبت كاتباً؟

أنخلا-، نعرف،

لورنشو-. (وهو ينظر إلى الاثنين.) تعرفان. وهل تعرفان أنني ساجعلهم يسجلون تصريحاتي وتنازلي؟

أنخلا-. بلى، يا لورنثو.

لورنثو-. كي يتخذ القاضي إجراءاً بما تقدّم، أليس كذلك؟

توماس-. شيء طبيعيّ!

لورنثو-. (إلى أنخلا.) وأنت، ما قولك؟

أنخلا-. (بصوت باك.) إذا كانت الخيرات التي نتمتّعُ بها اليوم لا تعود إليك...، حسناً تفعل.

توماس-. إذا كان الاسم الذي تحمله ليس لك، فمن الضروري أن تتخلّى عنه.

أنخلا-. على كلّ حال مشيئتك قانون.

لورنثو-. لكنّه قانون طاغ وكافرا أليس صحيحاً؟

أنخُلا-. قانون أحترمُهُ كأفضل قانون.

لورنثو-. (قلقاً، عصبياً، شبه مثار.) ولا تقاومینه؟ لا تعارضینه؟ توماس-. سلوکك سلوك رجل نزیه... وبذلك لا تستطیع أن تضعل شیئاً آخر.

لورنثو-. (بعنف.) يا له من خضوع غير معقول! يا لها من وداعة غريبة! يا له من تبدّل مفاجئ! تكذبان عليّ.

أنخِلا-. لورنثو، أعوذ بالله!

توماس-. (جانبياً.) لا أمل! الجنون يهاجم دماغه مثل موجة سوداء.

لورنثو- ، (هادئاً ،) في النهاية هذا أفضل. (وقفة . برقة وهو يقترب من أنخِلا ،) أين إنسُ؟

أنخِلا-، مسكينة ابنتيا

لورِنشو-. ألا تدافعين عنها ضديّي؟ ومع ذلك فهذا واجبك. (بعدوية.)

أنِحْلا-. آه، يا لورنِشوا الذي تستطيع ضعله ضدّك هذه المرأة المرأة المسكينة، إرادتُكَ تقوى في الصراع وفي الفاجعة وإرادتي تذعن حتى تقبيل الغبار.

لورنثو-، معكِ حقّ: فإرادتي لا تُقاوم حين تستلهم الواجب (إلى دُن توماس.) وماذا تقول عن كلّ هذا؟

توماس-، هكذا سيكون.

لورنشو-. هكذا. (وقفة) مسكينة أنخلا... وهل تدري ماذا سنفعل بعد توقيع المحضر وتسليم الدليل؟

توماس-، وهل عندك البرهان؟

لورنثو-، ألم تكن تعرف؟ (جانبياً، باستغراب،) عنه كنتما تتكلمان حين دخلتُ. (بصوت عال،) . بلى، عندي، جليّ لا يُدحض، بيّنٌ مثل النور مع أنّه أسود مثل الليل والخيانة.

أنخِلا-. اهدأ، يا لورنثو.

توماس-. وما هو؟

لورنثو-. رسالة من أمّي...، من تلك التي كانت تُدعى أمّي.

انخلا-، يا إلهي، تراها حقيقة؟

لورنثو-. بتوقيعها وخطّها ... وها هي هنا في حوزتي.

توماس-، (جانبياً،) آه، إذا كان كذلك...

لورنشو-، حسن، بعد تقديم البرهان، (إلى أنخيلا،) سنخرجُ أنا وأنت والمسكينة إنس من هذا البيت على الفور... من هذا البيت الذي لن يعود ملكاً لنا، والذي ستضع العدالة يدها عليه اليوم بالذات إلى أن يأتي ورثة أبندانيو (يتحمّس تدريجياً) بينما سنذهب نحن وحيدين وقانطين، بلا إمكانات ولا اسم، نحمل بين ذراعينا ابنة مُحتَضرة، لأن إنس ستموت، أنت تؤكّد لي ذلك (إلى توماس.)... لا. أسأت القول. كفرتُ. سنذهب بكامل شرفنا، وبضمير مرتاح وجبين عال ومعنا الله. ما همّ أن يتخلّى عنّي الجميع إذا كان الله معي؟

أنخلا-. إرادتك قانون يأ لورنثو... (تعانقِه.) من قبل نطقت بها شفتاي والآن ينطق بها قلبي.

توماس-. (جانبياً.) إذا كان البرهان موجوداً... فهذا الرجلُ

قديس لكن آه، إذا لم يكن موجوداً، فلورنِثو المسكين سيكون مجنوناً.

الخادم-. (معلناً.) السيّدة الدوقة والسيّد إدواردو.

أنخلا-. ليدخلا. (إلى دُن توماس.) هل أنت من أخبرهما؟

توماس-. تكلمت معهما ليلاً. وعدتني الدوقة بالمجيء، وها أنت ترين، تفي بكلمتها.

لورنثو-. عليّ ألاّ أراهما... أريدٌ أن أبقى وحيداً...، أو معكما...، فقط، وداعاً... يا عزيزتي أنخِلا.

انخِلا-. وداعاً، يا لورنثو.

لورنثو-. (وهو ينظر إلى الساعة.) ما أبطأ الوقت (يتوجّه إلى الباب الأيمن. يرافقه دُن توماس.) هل أخبرت الشهود؟ (عندما يصل إلى الباب.)

توماس-. هناك اثنان ينتظران الآن، وآخر سيأتي فيما بعد.

لورنثو-. من يكونون؟

توماس-. لا تعرفهم: إنّهم أصدقائي.

لورنثو-. وأصدقائي، لماذا لا؟

توماس-. فكّرت بأنّ أصدقائي أصدقاؤك.

لورنشو-. (ينظر إليه برهةً،) وهم كذلك. (جانبياً.) آه، يا لهذه الموافقة (... وددت لو يعارضاني...، يصارعاني (...

المشهد الخامس

أنخلا، الدوقة، إدواردو ودّن توماس

أنخلا-. السيّدة الدوقة...

الدوقة -. (وهي تحييها بمودّة.) سيّدة!

أنخلا-. دائماً في غاية الطيبة معنا!

الدوقة -. لا أستطيع أن أنكر عليك، في مرحلة بهذه القسوة، عزاء مداقة حقيقية أراد الله أن تجرحنا الفاجعة ذاتها بطرق مختلفة . (هذه الجملة الأخيرة بصوت خافت مشيرة إلى إدواردو.)

أنخلا-. لكن، ما اسم الفاجعة التي تجرحني؟ لا أدري.

إدواردو-. حانت ساعة التحقّق منها: اسمها بؤس وعار وموت لإنسّ، أم أنّ اسمها ...؟

أنخلا والدوقة .. إدواردوا

إدواردو-. عفواً، جميعنا مدينون اليوم للحقيقة، أنت قلت ذلك:
"سأتسامح مع فاجعة دن لورنشو من أجل حبّي لك، حبّك
لي؛ ولن أتسامح مع عاره الذائع الصيت: ولا حتى على حساب حياتك،" حياتي، يا أُمّي، أليس كذلك؟

الدوقة-. (بنبرة حزينة لكنّها عنيفة.) بلي.

إدواردو-. (متوجّها إلى أنخلا.) إذن، حسنٌ، يا سيّدة، لنعرف اسم الفاجعة التي تجرحك؛ هل اسمها العار، أم الجنون؟ تلك

هي المسألة، ومن الضروري حلَّها. إذا كان دُن لورنِتُو يقول الحقيقة، إذا كان عقله سليماً، إذا قدَّم دليلاً على ما يقول، فلنحترم فضيلته القاسية. لكن إذا كان هناك كما أعتقد وبألف دليل جليّ بأن غشاوة أبديّة تغشى عقله وانطفأ نور رشده للأبد، عندئذ عليك أن تدافعي، يا سييّدة أنخيلا وهذا واجب مقدّس عليك عن الاسم الذي يحمله وضعك الاجتماعيّ، ثروتك، وشرف دُن لورنِثو نفسه، في مواجهة هذيانه؟ ولماذا لا نقولها بصراحة، عن سعادة وحياة إنسٌ. لا تتركي هذه المصالح العليا وهذا الهدف الغالي تحت رحمة مجنون.

الدوقة-. إدواردوا

إدواردو -- الكلمة قاسية، لكن كان يجب قولها في النهاية. لنعرف وننتهي ما إذا كانت معركة الشرف والحياة هذه التي وضعنا فيها دُن لورنثو هي ما تبدو أو ما أخاف وباختصار ما إذا كانت التضعيم البطولية للعالم الذي لا يكلّ جنوناً أم قداسة.

الدوقة - . كفى با إدواردو! (تجلس أنخِلا في الأريكة وتبكي بمرارة . تقترب الدوقة منها .)

توماس-. (إلى إدواردو.) سعادة هذه الأسرة كأنها سعادتي، تهمّني. ما تقترحه متوقع، وهو ما سيحله القانون والعلم. الدوقة-. أناركم الله. (إلى أنخلا.) هيا، يا سيّدة، كوني شجاعة، وقنوعة. أين إنِسَّ؟

أنخلا-. هل تريدين رؤيتها؟ الدوقة-. بلي.

أنخلا-. تعالى. (إلى دُن توماس.) وأنت أيضاً، أريدك أن تراها.. منذ ثلاثة أيّام ما من شيء يمنحها القوّة إلاّ الحمّى...آه، على ابنتي الله تموت ا

توماس-. بنت مسكينة! (تخرج أنخلِا والدوقة ودُن توماس.)

المشهد السادس

إدواردو وحيدأ

إدواردو-. ومازالوا يشكّون إيا للعمى إولا يفهمون أنّ دُن لورنشو الطيّب وبسبب أنّه يبحث ليس عن سبب الظلم مثل الفارس الجوّال وإنّما عن سبب كلّ الأسباب التي ابتدعها العلماء، انتهى إلى فقدان الشيء الوحيد الذي منحه الله له، ألا وهو العقل الطبيعي إيجب ألا يحدث. يجب ألا أسمح بأن يضحوا بحياة إنس لأجل هذيان مجنون بائس ا

المشهد السابع

إدواردو وإنسِ التي تخرج مضطرية وكأنّها تهرب من الغرفة اليسارية حين دخل ممرّضا مشفى المجانين.

إنسِ -، من هذان الرجلان، من؟

إدواردو-. يا إنس حياتي اكم أنت شاحبة اأية هالة زرقاء تحيط بعينيك الإلهيتين (خارجاً للقائها.)

إنسن - . لكن أجبني المن يكونان؟ من ينتظران؟ ليدهبا الوهي تقترب بُحدر من الباب الذي بقي مفتوحاً وتنظر؛ يحاول ادواردو أن يأتي بها إلى مقدمة الخشبة) في هذا شيء مشنؤوم السنبة وأنا أبحث عنه عبر القاعة في هذه الغرفة ورأيتهما ... لا أريد أن أراهما، ولا أستطيع أن أرفع عيني عنهما ...

إدواردو-. لكن، ما بك؟... لماذا لا تنظرين إليَّ؟ لماذا تهريين منّي؟ إنسّ، إنسّ، هل يثقل عليك حبُّنا؟

إنسنّ-. (عائدة إلى مقدّمة الخشبة.) حبّنا النت تعرف أنّه حياتي، لكن آه، يا إدواردو، لأيّ امتحان مريع أراد الله أن يخضعه النت لا تعي هذا، حبّك سعادتي القصوى وأمل حبّك سعادة أكبر وأكبر، أكبر بكثير، فيه الحاضر وفي الأمل كلّ المستقبل، ومع ذلك، فإنّ الأمل ، يا حبّي، جريمة بالنسبة لإنسنّ المسكينة؛ جريمة؟ هل هناك قسوة مشابهة. ما لا

ينكره القدر على أيّ كائن بشريّ ينكره عليّ. البارحة كنتُ طفلة: وتفكيري يسبح حالًا في يمبوس أبيض، شفّاف مثل ضباب منخفض بين أشعّة القمر، اليوم رصاص، حسب ثقله، واليوم حمم، بحسب لهيبه. لو رأيت أيّة أشياء رهيبة يقولها لي في صمت الليل! وهذه الأفكار ليست أفكاري، يقولها لي في صمت الليل! وهذه الأفكار ليست أفكاري، ليست إرادتي هي التي تشكّلها، تأتي لا أدري من أين، أردّها، لكنّها تعود، وتحاصرني أوّلاً بأنين يقول لي: "أسنّ، مسكينٌ أبوك "ثمّ تضايقني بأصوات إغواءات تهمس: "إنسنّ، من يدري؟ ما زال باستطاعتك أن تكوني سعيدة... ما زال حبّك ممكناً: انتظري...، انتظري...، أيّتها الصغيرة المسكينة." هل عرفت شيئاً أشد هولاً لأنه لا بد أن هذا هو إبليس الذي لا يُنتَظرُ منه شيء، يكلّمها عن الأمل؟

إدواردو-. عودي إلى رشدك، يا عزيزتي إنسٍ،

إنسِن - . (مقتربة من إدواردو .) بي ندم ا

إدواردو-، ممَّ؟

إِنْسِنِّ-. لا أدري، فأنا لم أفعل شيئاً سيثاً. أبي المسكينُ أبي المولكِ. إنورو-. يا ملاك حياتي النِسِّ روحي الهدئي، الهدئي، أرجوكِ. انظر، يا إدواردو، بودي لو أموت.

المشهد الثامن

دُن لورنِثو، إنسِن وإدواردو، دُنَّ لورنِثو يدخل من العمق ويتوقَّفَ حين يسمع إنسِّ.

لورنثو-، (جانبيّاً،) هل قالت أموت ا

إدواردو-. أنتِ تموتين؟ لا يا إنسِن، هذا لا. لا تقولي هذا.

إنسِن -. لماذا؟ أنا لا أموت ألماً، إذا حققت السعادة متَّ ندماً.

لورنثو-، (جانبيًا،) ندماً لهي لإذا حققت السعادة لأيّ شؤم جديد يحوم في الجوّ ويثقل على جبيني ندماً لا فاجأت بمروري كلمة أخرى لأعبر قاعات ودهاليز وأمضي من مكان إلى آخر، مدفوعاً دون انقطاع بضيق لا يُطاق، وأسمع جملاً لا أفهمها وتحملق في عيني "اللتين تقولان ما لا أفهمه أيضاً، بعضهم يبكي وبعضهم يبتسم ولا أحد يُعارضني وجميعهم يهربون مني أو يراقبونني... (بصوت عال ما هذا؟ ما هذا؟ (بصوت عال))

إنسِن -. (وهي تذهب إليه وتعانقه.) أبتٍ ا

لورنثو- . إنسن الم أنت شاحبة اأيّ انقباض مؤلم في شفتيك الماذا تتظاهرين بالابتسام الذي سينتهي إلى الانتحاب؟... ما أجملها في ألمها (وكلّ ذلك بسببي ا

إنسن-. لا يا أبت.

لورنثو-، ما أقساني ١ آه، أنت تفكرين به وإن كنت لا تقولينه.

إدواردو-. إنس ملاك، ولا مجال للأفكار المتمردة عندها؛ لكن من الذي يراها تتعذّب ولا يفكّر بذلك ولا يقوله؟

لورنشو- لا أحد، معك حقّ.

إدواردو-. (بقوّة.) أنا معي حقّ، لكن أنت لا.

لورنثو-. معي أيضاً. هل هناك ما هو أكثر شحوباً من جبين فتاة عاشقة! هل هناك ما هو أكثر حزناً من دموع هاتين العينين الحرينتين؛ هل هناك ما هو أقسى من ابتسامة هاتين الشفتين وأكثر مأساوية من موت المحبوب!

الدموع والمآسي الأخرى؟ الأخرى؟

لورنثو-. (بقنوط.) كان يجب ألا توجدا لكنها موجودة! (وقضة.) وهذا هو عـذابيا وهذه الفكرة هي التي سـتودي بي إلى الجنون!

إنسِن - . لا، يا أبت، لا تقل هذا لا . تابع طريقك، ولا تفكّر بي. ما هم إن عشت أو مت لا

لورنثو-. إنس ا

إنسِن - ، لكن لا تتردد ...، وإياك أن يراك أحد تتردد ، فلتكن كلمتك واضحة ومقنعة كما هي الآن؛ فلا يعميك الغضب ... هدوء ، هدوء ، يا أبى . أطلب منك هذا بحق الله ا

لورنثو-. ماذا تقولين؟ ... لا أفهم ا...

إنسِن-. وهل أعرف ما أقول؟ وداعاً...، وداعاً...، لا أريد أن أضعف.

إدواردو- (إلى دُن لورنِشو .) آه، لو تصغي إلى قلبك؛ لو تُخَرس تفكيرك ا

إنسن- . (إلى إدواردو .) تعالَ معي ... لا تُضايقه ... وإلا جعاتني أمقتك ا

لورنثو-. يا لها من فتاة مسكينة ا...أيضاً هي تُصارع لكنها تنتصر أيضاً السبب ما هي ابنتي الإباندفاع كبرياء عال. تتوجّه إنسِ وإدواردو إلى العمق وحين يمرّان أمام باب الغرفة ترى إنسِ الممرضين فتقوم بحركة رعب.)

إنسِن - أيّة رؤى مشؤومة تمرّ أمام ناظري؟ هذان الرجلان... لا يا أبت، لا تدخل إلى هناك.

إدواردو-، تعالي، تعالي، يا عزيزتي إنس، ا

إنسن- (إلى أبيها) لا ... الا ... أرجوك لا .

لورنثو-. (متوجهاً إليها.) إنس ١

إنسِن - . هذان الرجلان! هذان! انظر. (تمدّ ذراعها باتجاه الغرفة. يتوقّف دُن لورنِثو وينظر بدوره، في اللحظة التي يسمع بها الممرضان الصياح يطلان برأسيهما من بين الستائر.)

ادواردو-. (وهو ياخذ إنسِنّ.) أخيراً ا...

المشهد التاسع

دُن لورنِثو، براوليو وينيتو. وقفة قصيرة.

لورنشو-. من تراهما يكونان؟ ادخلا. (يدخل ممرضا مشف المجانين ببعض الخوف؛ يتكلّمان بجمل مبتورة وجافّة.)

براوليو-، دُن توماس...

لورنثو-، (جانبيًا ،) فهمت،

بنيتو-. قال لنا أن ننتظر هناك...

لورنثو-. اعذراني، لم أكن أعلم...

براوليو-. لا داعي للاعتذار.

لورنثو-، (جانبياً،) حقيقة إنّه مظهر غريب، (بصوت عال،) لك اجلسا،

بنيتو-، شكراً،

براوليو-. نحن مرتاحان على كلّ الأحوال.

لورنثو-. لا يمكن أن أقبل...

براوليو-، أنت تصرّ...

بنيتو-. إذا كان السيّد يأمر فمن الأفضل أن ننتظر بهذا الشكل و يجلسان على الأريكة. يبقى دُن لورنثو واقفاً.)

لورنثو-. (جانبياً.) إمّا أنّ هذه النظرات تعكس شيئاً مشؤوماً أو أ نظرتي تعكس بروقاً تعبر نفسي. (يراقبهما من جدي باهتمام. بصوت عال،) إنس هي التي رأتهما عند مروره

وحذّرتني.

براوليو-. بلى، إنها آنسة جميلة جدّاً بنيتو-. لكنها حزينة جدّاً.

براوليو-. تبدو مثل مريم الآلام. (مع كلّ ردّ يقوم به الممرضان والذي يجب أن يكون مبتوراً وجافاً، كما قلنا، يلزمان صمتاً، لنقل مباغتاً، ويبقيان متخشّبين بلا حراك ينظران أمامهما بشيء من الشرود.)

لورنثو-. خافت حين رأتكما، وجاءت هارية، لا تستغربا، فالمسكين مريضة جدًا ... تكاد تكون طفلة ...

براوليو-. (بابتسامة تائهة وكأنه أبله.) هذا ما يحدث معنا دائماً في البيوت.

لورنثو-. (جانبياً وباستغراب.) في البيوت ١

بنيتو-. (واضعاً نظره على دن لورنثو لأوّل مرّة ثم يعود لينظر أمامه.) تراها ابنة هذا السيّد المسكين. أليس كذلك؟

لورنثو-. ابنة من؟

بنيتو-. (دونَ أن ينظرَ إليه،) ابنة الموجود... (يقوم بحركة، رافعاً يده إلى جبينه، لكن دون أن ينظر إلى دُن لورنِثو. يقوم دُن لورنِثو بقوم دُن لورنِثو بدوره بحركة أخرى وحده الممثل يستطيع أن يترجمها كما يجب. ويما أنّ الممرضين لا ينظران إليه فإنهما لا يستطيعان مراقبته.)

لورنثو-. (جانبياً.) آه، لا الما هذه الفكرة المربضوت عال ويسيطر على نفسه.) تماماً؛ إنسٌ هي ابنة... (يراقبهما دُن لورنثو

منذ هذه اللحظة بقلق أكبر.)

بنيتو-. ما أجملها، لكن ما أحزنها!

براوليو-. صحيح، عندها أسباب كي تكون حزينة.

لورنثو-، هل تعرفان؟

براوليو . (وهو ينظر مرّة أخرى إلى دُن لورنِشو ثمّ يرفع نظره عنه .) كلّ شيء .

لورنثو-. هل دُن توماس من قال لكما؟

بنيتو-. لنا؟ لا.

براوليو- هو تكلم مع الدكتور؟-.

بنيتو-، نحن؟ بأيّ هدف؟ نحن نقوم بواجبنا ...

لورنثو-. (جانبِياً.) أشعر بعرق بارد، كأنّه عرق الموت، لكنّ جسدي كلّه. أنا أهذي ... لا شيء من هذا حقيقة. (وهو يردّدُ آلياً.) بواجبهما...

براوليو-. نحن بوجودنا في حالة ترقب حتى إذا تجاوز بسلوكه...

لورنثو-. تجاوز بسلوكه... من؟

براوليو-. هوا

لورنشو-، (يتراجع عدّة خطوات، وينظر إليهما برعب، يمرّر يده على جبينه، كما لو ليبعد فكرة، يتراجع أكثر، يتردّد ويستندُ إلى الطاولة. يتكلّم بعدها بصوت كتوم، خافت جدّاً وبكلمات متقطّعة،) إذن أنتما تعرفان كُلَّ شيء؟

براوليو-، تقريباً.

بِنيتو-، بما أنّنا ننتظر منذ مدّة طويلة سمعنا كلّ أحاديث الخدم.

لورنثو-. وهم؟

براوليو-. من الألف إلى الياء. يبدو أنّ دُن لورنثو قد مرّ ليلة أمس بنوبة. أنت تعرف أكثر منّا.

لورنثو-. (بصوت في كلّ مرّة أكثر خفوتاً وجهامة.) بلي.

بنيتو . يُقال إنّه خنق عجوزاً مسكينةً. (يقوم دُن لورنِثو بحركة رعب ويغطي وجهه بيديه من جديد.)

براوليو-. رهيب هذا الرجل! بداية جيّدة!... وطبعاً... دائماً يحدث الشيء ذاته... الأسرة...

لورنثو-. الأسرة! (مبعداً يديه ويسير خطوات كأنّ تيّاراً كهريائياً يهزّه، ينظر إليهما بجزع كبير متكلّماً بصوت أصمّ.)

براوليو - الأسرة ...، شيء طبيعي ...، كما يقولون إنّه يريد أن يهدي كلّ ثروته! ما أدراني كم من الملايين! شيطان مجنون! لا شيء؛ الأفضل هو ما أعدّوه: إلى الخارج، إلى الخارج. نحمله وترتاح السيدتان...

لورنثو-. لي أنا؟ هما؟ أنخِلا؟ إنس ؟... لاا لاا محال! (يتراجع من جديد نحو اليسار. وحدها فطنة الممثل تستطيع أن تترجم هذه الصرخات التي تمزّق القلب.)

براوليو-. (ملتفتاً إلى دُن لورنثو. جانبيّاً.) لكن ما به هذا السيّد؟ (إلى بنيتو.) انظر...، أنظر...، (ينتفض الممرضان وينحنيان نحو اليسار؛ وهما ينظران إلى دُن لورنثو. يجب أن تُدرَسَ المجموعة التي تشكّلها الشخصيات المذكورة بعناية.)

لورنثو-. هواء! نور! لا ... نور، لا! ظلام! لا أريد أن أرى! لا أريد أن

أفكّر (يسقط على الكرسي الكبير ويغوص برأسه بين يديه.)

بنيتو-. تصوّر ا أظنّه هو... براوليو-. حسناً نكون قد فعلناها ا بنينو-. من كان سيظنّ ا

براوليو-. لنعد إلى مخبئنا.

بنيتو-. و... صه الانقولُ شيئاً. (ينهضان، يتوجّهان إلى الغرفة بعدر شديد وهما يراقبان دُن لورنثو دون توقّف.)

براوليو-. طبعاً. ولا كلمة. أرسلونا إلى هناك، ونحن هناك. كان علينا ألا تتحرّك.

بنيتو-. بما أنّنا سمعنا صراخاً ويكاءً... (يصلان إلى الباب، يتوقّفان وينظران إلى دُن لورنثو، الذي ما زال في وضعيته. يدخل الخادم من العمق، يمرّ مسرعاً ويخرج من جهة اليمين.) اتركه... اتركه... ما دام هادئاً. (يدخلان إلى الغرفة ويغلقان عليهما الباب.)

المشهد العاشر

دُن لورنِثو ودُن توماس ومع الخادم من جهة اليمين.

لورنثو-. يا إلهي أبعد الكأس عن شفتي ا... لا أستطيع أكثر، لا أستطيع أكثر (يُجهشُ أستطيع أكثر (يُجهشُ

بقنوط،) جعلتني أؤمن بهماا... جعلتني أُحبّهماا... وهما، يا للخائنتينا... لاا... لاا يا ربّ فقد منحتني الحياة، فانزعها منّي بسرعةا... انظر...، أريد أن أموت! ينتابني إغواء رهيب بانتزاع لحمي الفاسد! بيديّ ذاتهما! أموت... أريدٌ أن أموت!... أرأيت؟ أرجوه منك راكعاً على ركبتيّا... كنّ طيّباً!... كن رحيماً!... للوت!... الموت لي، رسول حبّك الشاحب! (يسقط على ركبتيه بجانب الكرسيّ الكبير، ويستند اليه، يعني رأسه ويخفيه بين يديه.)

توماس-. (بصوت خافت إلى الخادم.) هل يأتيان؟

الخادم-. نعم، يا سيّد؛ الكاتب والدكتور برمودث. (يتوقّف دُن توماس والخادم في وسط الخشبة حين ينتبهان إلى دُن لورنِثو الذي ما زال على ركبتيه وهو ينتحب.)

توماس-. (متقدّماً خطوة نحو دُن لورنثو. يندم بعدها ويتوجّه إلى الوسط.) لماذا؟ علينا أن ننتهي بسرعة. (يخرج دُن توماس والخادم.)

المشهد الحادي عشر

دُن لورنثو، ثمّ دُن توماس والدكتور برموديّ.

لورنشو-، ها قد هدأتُ أكثرا الجرح قاتل! أُحسّ به... هنا في

القلب اشكراً لك يا إلهي الطيّب (يدخل دُن تومساس والدكتور من العمق، يتوقّفان ويراقبان دُن لورنثو.)

توماس-. انظر إليه هناك...، بجانب الكرسيّ!

الدكتور-. بائس!

لورنثو-. (وهو ينهض، جانبيًا) إيه، أيّها الكائن البائس ما زلت...،
ما زلت تداعب آمالاً مُحالة... محالة؟... ماذا لو كانتا
تعتقدان بصدق أنّني...؟ آه، لو كانتا تحبّاني لما صدّقتا البقنوط. وقفة) أنا سمعت إنسٍ ... سمعتُ ابنة روحي...،
تقول كلمة: "ندم!" لماذا كانت تقول كلمة ندم؟ (باضطراب
متنام وصوت عال،) الجميع... بؤساء !... تقريباً يسعدون
لو متً... لا ... لن أموت حتى أقوم بواجبي كرجل شريف.

توماس- (وهو يضع يداً على كتفه) لورنثو.

لورنثو-. (يلتفت ويتراجع بانزعاج حين يعرفه.) هوا

توماس- ، أَقدّم إليك السيّد برمودثُ، واحد من أفضل أصدقائي. (وقفة ، ينظرُ دُن لورنثو إليهما بطريقة غريبة .)

الدكتور-. (إلى دُن توماس بصوت خافت.) انظر كيف يحاول السيطرة على نفسه: عنده وعي مشوش عن حالته، لا شك عندى بذلك.

لورنشو-، واحد من أفضل أصدقائك... واحد من أفضل أصدقائك...

الدكتور-. (جانبياً، إلى دُن توماس.) تفلت منه الفكرة ويجهد نفسه

في الإمساك بها.

لورنثو-. (سلخراً.) إذا كان واحداً من أفضل أصدقائك فمن وفائه تصيبني حصّة.

الدكتور-، (جانبياً إلى دُن توماس،) عثر أخيراً على الجملة، لكن انظر لنبرته كم هي غير طبيعيّة. (بصوت عال.) جئت شاهداً، بحسب ما يؤكّد لي دُن توماس، على لفّتة في غاية النبل.

لورنثو-، وكذلك على خيانة كريهة.

توماس-، لورنثوا

الدكتور-. (جانبياً إلى دُن توماس.) دعه يتكلّم.

لورنثو-. وعقاب نموذجيّ.

الدكتور - ، (جانبياً إلى دُن توماس ،) خطير جدّاً ، يا صديقي دُن توماس . . . خطير جدّاً .

لورنشو-. (إلى دُن توماس.) أخبر الجميع.. الجميع، الأقرباء والغرباء. ليأتوا إلى هنا، وينتظروا أوامري هنا، ريشما أقوم بواجباتي هناك. ماذا تنتظر؟

الدكتور-. (جانبياً إلى دُن توماس.) يجب عدم معارضته؛ أخبرًا. (يقرع دُن توماس جرساً، يظهر خادم، يكلّمه بصوت خافت ثم يخرج من جهة اليمين.)

لورنثو-. إنّه البرهان الأخير. يحزنني الخونة تقريباً. آه، الثقة بالانتصار تجعلني متماسكاً. اهدأ، يا قلبُ. هاهما... هاهما... لا أريد رؤيتهمال...لي أنا الذي طالما أحببتُهمال...

لا أريد...، وإليهما تلتفت العينان...، تبحثان عنهما...

المشهد الثاني عشر

المذكورون، إنسن، ، الدوقة وإدواردو من جهة اليمين.

لورنثو-. إنِس ٤ غير ممكن ١٠٠٠ هي ١ غير ممكن ١٠٠٠ بُنيَّتي ١ (يُسارع نحوها بدراعيه المفتوحتين، تجري إنِس للقائه،)

إنسِ -، أبتاه (حين توشك على عناقه يتدخّل برمودثّ الذي يفصل بينهما بعنف.)

الدكتور-. هيّه، كفى... يمكن أن تسبِّب لابنتك أذى شديداً، يا دُن لورنثو.

لورنثو-. (يمسك به من ذراعه ويهزّه بعنف.) بائس! من تكون كي تفصل بيني وبينها؟

توماس-. لورنثوا

إدواردو-. دُنِّ لورنثوا

أنخِلا-. يا إلهي (تجتمع النسوة غريزياً، إنس بين دراعي أمّها، وبجانبهما الدوقة؛ يُهرع دُن توماس وإدواردو ليخلّصا برمودث من بين يدي دُن لورنثو.)

لورنثو-. (وهو يسيطر على نفسه وجانبياً.) هاهه اسيفكّر البلهاء أنّها نوبة جنون جديدة اجنون اها، ها الله الماء

مقهقها، الجميع يراقبونه.)
الدكتور-. (جانبياً إلى دُن توماس.) شيء واضح.
انخلا-. (جانبياً.) آه، مسكين لورنِثوا
إنسَّ-. آه، يا أبت!

لورنثو-. (جانبياً.) سوف ترون كيف سينتهي جنوني. قبل الخروج من هذا البيت، بأيّ متعة سأرمى بهذا الدكتورا همّة! الصراع يمنحني قوّة، ماذا؟ ألا يوجد غير أن يعلن عن جنون رجل لأنّه يقوم بواجبه؟ آه، غير ممكن، ليست الإنسانية عمياء إلى هذا الحدّ أو ساقطة. كفي، اهدأ! خيانة، ابدأ أنت، عاقبٌ. (بصوت مرتفع.) حانت ساعة أن أتمّ واجباً مقدّساً، وإن كان بكلّ الأحوال مؤلماً. من غير المجدى أن تحضروا أنتم شكليات يتطلّبها القانون وهي مزعجة جدّاً. فها هو ممثل القانون ينتظرني هناك وأنا بتنفيذي لقانون أسمى سوف أجرِّد نفسى من أملاك ليست لي ومن اسم، لا أنا في ضميري أستطيع أن أحمله ولا أسرتى، بعدها ساتى إلى هنا مع زوجتى ومع... مع ابنتى، دون أن يستطيع أحد منعي، دون أن تستطيعوا أنتم مقاومتي، سأخرجُ من هذا البيت، الذي كان بالنسبة لماضيٌّ حبّاً وسعادة صار اليوم خيانة وعاراً. أيّها السادة (إلى دُن توماس ويرمودثُ.) أنتما تتقدّماني، أرجوكما. (يدخلون جميعاً إلى الغرفة اليسرى ببطء. يوجّه دُن لورنتو حين يخرجُ نظرةً إلى إنسٌ.)

المشهد الثالث عشر

أنخِلا، إنسِّ، الدوقة وإدواردو. النساء الشلاثة في البعد الأوَّل. إدواردو يصغي عند باب الغرفة.

إنسن-، أنقِذُهُ، يا إلهيا

أنخِلا-. (معانقة ابنتها.) بلى، معك حقّ. لنفكّر به فقط. لنصلّ من أحله فقط!

الدوقة -، واجبكما المقدّس أن تقدّما سعادة دُن لورنثو على سعادتكما، لكن على كلِّ الأحوال، هناك واجب أكثر قداسة ألا وهو القبول بإرادة أعلى من إرادتنا. (وقفة.)

إنس - (إلى إدواردو.) ماذا يقول؟ بالله عليك ١٠٠٠ ماذا يقول؟

إدواردو-. إنّه يتكلّم؛ جملته باردة وصارمة، لكنّها غير متردّدة ولا غامضة. (يعودُ إدورادو إلى الباب.)

أنخلا-. يا للضيق، يا للقلق! الموتُ أفضل من هذا العذاب!

إنسِن - ماذا يهم ما يقوله أبي، إذا كان قد حُكِمَ عليه مسبقاً (

إنخِلا-. لا يا بُنيَّتي، لا تقولي هذا.

إنسِن-. بلى، أقوله، لأنّني أشعر به، لأنّني أراه فيمن هم الآن قضاته.

أنخلا-. لكن ماذا ترين؟

إنسن - عنى هؤلاء الناس جنون المهنة...

أنخِلا-. وفي توماس؟

إِنْسِن - . آراؤه العلمية ... ما أدراني ... جنون بحدٌ بذاتها ...

أنخِلا-، لكن وهيَّ؟

إنِسِّ- . (وهي تُعانقها .) الحب الذي تكنينه لي ا

أنخلا-. اسكتي، يا إنس، اسكتي١

إنسن-، الجميع ضدَّ أبي المسكين أبي ا

الدوقة - . انت تهذين، يا إنس .

إنسِنّ - بلى، أهذي، مثلك، مثلنا جميعاً، إلاّ هوا... إلاّ هوا... قلبي يُحدّثني أنت نفسك، يا سيّدة، ما ترغبين به هو سعادة إدواردو؛ وإدواردو حبيبي وحبيبته أنا؛ وأبي، فضيلته، نزاهته وشرفه عوائق أمامنا جميعاً وفينا جميعاً يهتز شيء غامض يلفّ بالظلام ضمائرنا. أبتاه أبتاه ا

أنخلا-. بالله عليك، يا إنس، ما هذه الأفكار!

إدواردو-. (مقترباً.) يتكلّم عن برهان قاطع.

إنسن-. والآن؟

إدواردو-. يُطالبونه بتقديم البرهان ليضمنوه في المحضر وليُسلّم إلى القاضي.

أنخِلا-. وهو؟

إدواردو-. هو يبتسم ابتسامة النصر. إنّه شاحب، شاحب جدّاً، لكنّه رصين وشهم. ها هو يقترب. (يأتي إدواردو إلى مقدمة الخشبة ويقول جانبياً.) يُخيفني هذا الرجل.

إنس -. (جانبياً.) يا حبّدا ...، حتى ولو مات حبيّا أنخلا-. (إلى الدوقة.) هل هذه هي الحقيقة؟

الدوقة -. (إلى أنخلا.) هل هي الحقيقة؟ إدواردو -. (جانبياً، وهو يرى دُن لورنِثو يدخل.) آه، تراني أنا الغبي؟

المشهد الرابع عشر

أنخلا، إنسن، الدوقة، دُن لورنِثو، الدكتور ودُن توماس. حالة الشخصيات هي التالية: تشكل النسوة الثلاثة مجموعة، مترابطة جدّاً بجانب الأريكة التي يتكئن عليها. إدواردو خلف الأريكة وهو ينظر إلى دُن لورنثو كأنه خائف منه ويسيطر عليه. دُن لورنثو يتقدّمُ هادئاً وشامخاً نحو وسط الخشبة. خلفه يأتي دُن توماس وبرمودث، يتوقّفان على بعد خطوات من الباب

لورنشو-. (وهو يقترب من الطاولة ويضع يدّه بطريقة انتصارية على المكتب،) هنا البرهان ا... هنا الحقيقة المرقفة . يفتح مكتب المذاكرة ويخرج الظرف، مع الورقة البيضاء. يتقدّم بعدها نحو مقدّمة الخشبة. يقترب منه دُن توماس ويرمودث من جانب، وإدواردو من آخر.) تعساء من كانوا يتصوّرون أن يضحّوا بي من أجل مصلحتهم وعواطفهم! ما أمر انكشاف الخديعة الكم سيكون العقاب قاسياً الحبّذا لو يمكن لغفراني تصوّره المتأثراً بشكل عميق.)

أنخلا- ، (وهي تقترب.) لورنثو! إنسُّ- ، أبتاه!

لورنثو-. هذا هو الدليل، يا توماس؛ هذا هو البرهان، يا أنخلا؛ هذا هو البرهان، يا بُنيّتي اسمعوا. (وقضة. يمزّق دُن لورنثو المغلّف. يقترب الجميع منه ويحيطون به.) هذا هو... ما هذا؟ (يبعد الورقة عن عينيه ويمر بيديه عليهما.) أية ظلمات تغشى عينيّ هل من دم وع فيهما تمنعني من الرؤية لا... بكيت من قبل... والآن أنا لا أبكي. (يعود لينظر إلى الورقة بقلق رهيب، يفضها، يعيدها، يبحث عمّا في مكتوب في كلّ مكان.) لكن أين ما كتبته تلك المرأة؟... أنا قرأته ألف مرّة... ولا أستطيع الآن... (إلى دُن توماس وهو يريه الورقة،) ماذا تقول هنا؟... اقرأ، اقرأ بسرعة...

توماس-. لا شيء، يا مسكين، يا لورنثوا

لورنشو- . لا شيء (وهو ينظر مرة أخرى إلى الورقة) أنت تخدعني المرودث هذا يخدعني الهو واحد من البوساء الذين دبروا هذه الخيانة المهينة ... اقرأ أنت ... اقرأ أنت ... المحتور الورقة بيضاء ...

لورنثو-. لا شيء مكتوب اهل تقول إنه لا شيء مكتوب فيها؟ ليس صحيحاً ... لا ... ليس صحيحاً النسن، بُنيّتي، وحبّي الوحيد، تعالى وأنقذي أباك ... ماذا تقول هنا؟ إنسن- لا أرى شيئاً، يا أبى ا

لورنثو-. لا شيء... هي أيضاً ... لكن أليس هذا برهان؟ توماس-. بلى، يا صديقي الشقيّ... برهان... وقاس جدّاً. لورنثو-. (ضارباً بكفّه على جبينه.) آه، فهمت، (وهو ينظر إلى دُن توماس وأنخلا.) كنتما تتكلّمان قبل هذا عن برهان ا... أنتَ ا... وأنت الله النخلا ودُن توماس.) أخرجتماه من هنا ۱... یا یسوع ۱... یا یسوع ۱ (یبتعد عنهما مرعوباً، یبتعد الجميع عنه ويذلك يصبحون في الوسط، لكنَّهم معزولون قليلاً. يترجم الممثلُ هذه اللحظة كما يراها مناسبة. وقفة.) ليكن ا... ليكن ا... مهزوم ا... مهزوم بشكل بائس ا... آه، كيف يتمتعون بانتصارهم! بأيّ ألم منافق يتأمّلونني! ويتظاهرون بالبكاء ١٠٠٠ جميعهم يتظاهرون ١ (وقفة ٠) آه، قلبي ١ آه، من أوهام الحياة ١٠٠٠ آه من الحبّ ١٠٠٠ آه... من ابنتي ابنتي ١٠٠٠ أشباح تدور وتهرب ١٠٠٠ اهريوا للأبد ١ وأنا كنتُ أؤمن بكلِّ شيء اكم كانت السماء زرقاء اوكم كانت جبهة إنس بيضاء اوالآن، بماذا سأؤمن؟ هاأنتم ترون: لا أُفاوم، أذعنُّ، النصر لكم، هؤلاء الرجال، لماذا جاءوا؟ سانهب إلى حيت تشاءون. وداعاً ((إلى دُن توماس الذي يقترب منه ويأخذه من يده.) لا تلمسنى! حين تلامسنى البشرة الإنسانية أشعر وكأنّ أفاعيَ تنزلق على لحمي! أنا وحدى ... وحدى سأصعد إلى جلجلتي حاملاً صليب آلامی، دون عار، لیساعدنی ثیرینئوا وداعاً، یا صدیقی الوفي (دائماً إلى دُن توماس .) أنت الذي أنقذت ثروة هذه

الأسرة المكروبة من يدي مجنون، وداعاً، يا أنخلا... يا زوجتي الرقيقة... عشرون عاماً مرّت على منحي القبلة الأولى لك وأنا مجنون حبّاً لا واليوم مجنون أيضاً أرسل لك القبلة الأخيرة (يرسل قبلة مع صرخة قنوط رهيبة.)

أنخلا-. لورنثوا

الورنثو-. لكن لا تقتربي فقد أخنقك بين ذراعيًّا (تتراجع أنخلا،) وداعاً، يا إنس، يا بُنيّتيا (بصوت منتحب،) كوني... إن استطعت، سعيدةً... فأنت لا أقول لك شيئاً... لا أستطيع أن أكلمك بغضب (يتقدم بعض الخطوات ويتوقف، تنقصه القوّة؛ يريدون الاقتراب منه فيرفضهم،) اتركوني؛ لست بحاجة لأحد، فالعرق يبلل جبيني والعطش يجفف شفتي وشيء يحرق كثيراً يورّم أجفاني. (يتوقف،) اسمعي... يا إنس، بُنيّتي! إذا كنت ما تزالين تحتفظين بشيء من الحب نحوي، وإذا كنت تشعرين بالشفقة نحو والدك! إذا كان يُثقل عليك ما فعلتموه بالتواطؤ فيما بينكم... فتعالي إلى ذراعيًّا لأحمل إلى جحيم الألم الذي ينتظرني دمعةً من عينيك على جبيني وقبلة من شفتيك على شفتيًا

إنسِن - أبت (يريدون الإمساك بها لكنها تتخلّص من الجميع وتجري باتجاه دُن لورنِثو، الذي يُهرع نحوها ويشدّها إلى صدره بعنف.)

لورنثو-، بُنيّة (الجميع يُهرعون نحوهما لكن دون محاولة الفصل بينهما بعد.)

إنسن-. لا...، يجب ألا يحملوك أنا أُحبُّك ... جميعهم يكنبون، إلاَّك الورنثو-. أنت لا تريدين لهذين الرجلين أن يحملاني؟ إنسن-. لا... لاا مدافعة عنك أمدافعاً عني

لوُرِنْتُو-. (يريدُ أن يهرب معها ... شادّاً إيّاها إلى صدره) نعم ا...
ساحميك ا ... فلينتزعوك من يديًّ ا

أنخلا-. بُنَيَّتي ا... بُنَيتي ا... النجدة (يجهدُ إدواردو ودُن توماس وبرمودثُ لفصل الأب عن الابنة .)

لورنثو-. لن أفلتها! للأبد إلى صدري!

إنس -. بلى، يا أبتٍ احمني ا

الدكتور-، ضروريّ.

إدواردو-. دُن لورنِثوا

توماس-. لورنثوا

الدوقة-. يا إلهي! سيقتلها كما قتل خوانا!

أنخلا-. إنسن (جميع هذه الصرخات شبه تلقائية، العراك سريع؛ يخرج الممرضان؛ يمسك الرجال أخيراً بدن لورنثو وتمسك المرأتان بإنس وتنتزعان بهذا الشكل وبالقوة الأبنة من بين ذراعى أبيهاً.)

إدواردو-، أخيراً ١

لورنثو-. لم أستطع، يا بُنيّتي لم أستطع أكثر... على وجهي أشعر بدموعك وقبلاتك... هي كانت تُحبّني... كانت بريئة... يا إلهي، إنّي أرى ذلك، قبلت عذابي في ليلة الصراع والإغواء. تلك مقابل سعادتها ل... ولى... لى فقط كأس المرارة ل...

إنس -. وداعاً اسانهب لإنقاذك ا

لورنثو-. وماذا تستطيعين أنت ... يا بُنيَّتي ... إذا لم ينقذني الله؟ (يبقى قرب الغرفة بين الممرضين وإدواردو ودُن توماس وبرمودث الذين يمسكون به إنس التي تمسك بها المرأتان في البعد الأوّل تمد إليه ذراعيها . ستار .)

نهاية جنون أو قداسة.

الضهرس

مقدمة	5
لفصل الاول	17
لفصل الثاني	51
الفصل الثالث	97

١١١١ إلفار الع

نوبل ١٩٥٤

مسرحي إسباني من مواليد مدريد ١٨٣٢، عمل مدرسة مدرساً للرياضيات والسيزياء في مدرسة المهندسين في مدريد، ووزيراً للتجارة والتربية والاقتصاد بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٧٤ ثم عاد وشغل منصب وزير الاقتصاد في عام ١٩٠٥.

بدأ كتابة أعماله المسرحية النثرية والشعرية، التي بلغت أكثر من ستين عمالاً، عام ١٨٧٤، مزج فيها بين العظمة والتأثيرية. شكّل حالة غريبة بل واستثنائية في تطور المسرح الإسباني، فقد حطم الواقعية والاعتدال ودراسة الطبيعة البشرية التي بدأها فرانسيسكو د أبالا ليعود إلى مبالغة الرومانسية المفرطة. جمع في مسرحه بين عنف الرومانسية وهيوم اللحظة.

• ظهرت في أعماله الأخيرة أصداء هنريك إبسن.

 حصل في عام ١٩٠٤ على جائزة نوبل للآداب مناصفة مع الكاتب البروفنسالي فردريك ميسترال.

🕶 توفی فی عام ۱۹۱۹.